قلوب عبير

536

٥٣٦

HARLEQUIN

دار م. النحاس

اغنية بلا كلمات

كين وايلدر

www.elromancia.com

مرمورية

اغنية بلا كلمات

كين وايلدر

«لا يمكنك ان تصدي العاصفة، يا لورا. انها متوحشة لا يمكن السيطرة عليها.»

لم تستطع لورا قط ان تنكر حقيقة شعورها نحو جاستين كارترايت. فقد كانا امضيا معاً، اجمل زواج حافل بالحب، إلى ان اختفى جاستين من حياتها فجاة. لقد جاهدت بقوة لكي تنساه... ولكنه الآن قد عاد، مصمماً على اعادة الماضي. كانت لورا تعلم ان عليها ان تقاوم... ان تحافظ على سرها الكبير... وهو ابنتها الغالية لوسي، كان عليها أن تحرص على ابقاء جاستين بعيداً عنها، ولكن، هل بامكانها حقاً ان تقصيه عن قلبها؟

لبنان: ٣٠٠٠ ل.ل - سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١دينار - مصر: ٤جنيه.

«ماذا تعنين بقولك هذا يا لورا.»

تسمرت عينا لورا على وجهه وهي تجيب: «دع الأمور تجري بسلام يا جاستين، فأنا لا أريد العودة معك في طريق الذكريات. لا أريد منك سوى ان تتركني وشأني.»

www.elromancia.com

كين وايلدر

المؤلفة كين وايلدر صحافية متخرجة تقول ان دراستها تلك قد سلبتها شيئاً تحبه، فحولتها إلى كتابة الروايات أو ما تسميه العمل المألوف. لقد اكتشفت عشقها لتحويل الورق الأبيض إلى عالم سحري تعيش فيه ردحاً من الزمن. من هوايات كين التخييم، السباحة في البحيرات الباردة في عز فصل الصيف، ركوب الخيل في البراري الخضراء، والتزلق على الثلج في اعالي الجبال. وهي تعيش في بريتيش كولومبيا اوكا. ناغان فالي قائلة انها توفر جواً هادئاً لتاليف رواياتها.

٥٣٦

khouloub Abir 536

اغنية بلا كلمات

كين وايلدر

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

الفصل الأول

همست لورا وهي تحدق في ما تراه غير مصدقة، همست تقول وهي تغمض عينيها: «كلا.» ثم فتحتهما ثانية وهي تتابع قائلة بصوت عالٍ: «أوه، كلا.»

منذ ثوان، كان يبدو أن النهار سيكون رائعاً، فقد كانت أشعة الشمس تتراقص على محتويات المطبخ في مقهى لورا. والنسيم الجبلي النقي يحرك الستائر المخرمة على النافذة.

«صباح الخير، يا لورا.»

استدارت لورا بسرعة لتحيي مساعدتها، وهي تحاول إخفاء ضيقها بابتسامة مشرقة ما لبثت أن بهتت. ودخلت غريسيا، وهي امرأة بالغة النحافة قد خالط شعرها الشيب وذات ملامح صارمة، في العادة، دخلت وهي تقول مستنكرة: «كيف وصلت هذه الماكرة الصغيرة إلى هنا؟»

شعرت لورا برغبة سريعة في الدفاع عن هذه الماكرة الصغيرة، ولكن الكلمات التي صعدت إلى حلقها ما لبثت أن تلاشت. ما الذي تستطيع قوله دفاعاً عن لوسي بعد الذي صنعت؟ واستدارت لتنظر مرة أخرى في الخراب البادي أمامها، كانت هناك عشر فطائر قد صفت على المنضدة مكتملة الصنع بقشرتها الذهبية المشققة لا تشوبها شائبة سوى شيء واحد...

في منتصف كل فطيرة كانت القشرة مهروسة ببصمة اصبع قد نضحت بعصير التوت البري.

عادت غريسيا تهتف مرة أخرى: «أنظري يا لورا.» نظرت لورا بشيء من الذعر إلى حيث أشارت غريسيا إلى البصمات الأرجوانية المنتشرة على أعلى وأسفل الخزانات البيضاء مشكلة ممراً مستقيماً نحو الباب.

قالت غريسيا: «اظنك لم تقفلي الباب الليلة الماضية.»

اجابت لورا باستغراب: «أقفل الباب؟ أقفله في مدينة آبل؟ وفي وجه إبنتي؟»

فرقت ملامح غريسيا الصارمة. كان حبها للورا واضحاً في وجهها، وفي الواقع، ربما لم يكن هناك شخص في مدينة آبل لم يكن يحب لورا.

لم يكن جمال لورا الخارجي، هو وحده ما كان يجذب إليها القلوب، رغم وفرة نصيبها منه، فقد كانت طويلة القامة ممتلئة بغير سمة، ذات ملامح متناسقة تسر الناظر، هذا بالاضافة إلى شعر مذهل بجماله يصل إلى منتصف ظهرها، وكان أسود لامعاً كالفحم كما كان كثاً جعداً بطبيعته... هذا إلى أنه كان ثائراً نوعاً ما، وغاية في الروعة. وكان ينسجم مع شعرها هذا عينان مغناطيسيتان لونهما يتراوح بين الأزرق والأخضر، ما يؤلف لوناً فيروزياً مذهلاً غير عادي.

قالت لها غريسيا بخشونة وهي تربت على كتفها: «إنك امرأة طيبة، ولكن تلك الطفلة، متعبة.» قالت جملتها الأخيرة بلهجة خفيضة مضغوطة وكأنها كانت تجاهد نفسها فلا تصرخ باستنكارها لفعلة الطفلة، تلك. وتابعت تقول وهي تفتح صنبور الماء: «لقد كنا، في أيامنا، نتصرف مع أطفال مثلها بشكل مختلف.» ونظرت إلى الفطائر وتابعت تقول: «على أية حال، لا أظن الفطائر قد

تلفت تماماً، يمكننا تغطية المكان التالف منها بالقشدة.»

قالت لورا: «كلا يا غريسيا، إنك تعلمين أن هذا غير ممكن.»

قالت المرأة: «ربما بامكاننا أن نضعها على منضدة التنزيلات.»

قالت لورا: «إن دائرة الصحة ستقفل محلنا.»

قالت المرأة: «ولكن لا يوجد دائرة صحة في آبل.»

فقالت لورا: «أعلم ذلك، ولكن شعوري غير مرتاح لهذه الفكرة. انك تعرفين لوسي، فهي تظن أنها، لكي تنظف يديها، عليها أن تجعل كلب الجيران يلعقها، ولا بد أنها أمضت ساعة في الحديقة تنقب عن دود الأرض وذلك قبل حضورها إلى هنا. كلا، سآخذ هذه الفطائر إلى بيتي حيث أضعها في ثلاجتنا، إن بامكاني أن آكلها أنا ولوسي، هل تريدين شيئاً منها؟»

فأجابت: «لا بأس.»

ونظرت لورا مغمومة إلى بقية البصمات الأرجوانية التي تلطخ خزائن المطبخ البيضاء، وساورها الشك في أن بامكانها إزالتها كلياً حيث أن الخزائن لم تكن مصقولة تماماً.

وقالت: «سأخرج للحصول على بعض التوت البري بديلاً لما أتلفته لوسي.» رغم أن صبية المدينة كانوا عادة، يبيعونها التوت مقابل عدة دولارات للدلو الواحد، ولكنها كانت بحاجة إلى عذر لمغادرة المطبخ بمفردها لفترة قصيرة.

فقالت المرأة: «إمضي في طريقك، يا عزيزتي، وسأهتم أنا بالمكان.»

فقالت لورا: «شكراً يا غريسيا، ولكن، دعيني أتصرف مع لوسي بالنسبة لهذا الأمر، بنفسي.»

فقالت غريسيا: «إنها تستحق أن تضرب على قفاها بملعقة خشبية، وإن لم يكن لي الحق بهذا القول.»

أوقفت لورا سيارتها الهوندا على قمة الطريق الجبلي المنحدر تقريباً الذي يتفرع نحو مدينة آبل. وتحتها، في الوادي، كان بامكانها أن ترى السقوف المائلة لمنازل تلك المدينة الصغيرة. ومحا جمال المنظر ما سبب الغم لنفسها في ذلك النهار الرائع الجمال.

وبعد؟ ما هي أهمية عدة فطائر؟

عبرت الطريق، ثم أخذت في تسلق جرف شاهق تحمل دلوها بيدها، وما لبثت أن أصبحت في الغابة والتي كانت باردة خضراء هادئة تفوح منها رائحة الأرض الدائمة الخضرة. كانت شجيرات التوت البري قصيرة لا تكاد ترتفع عن الأرض بينما اغصانها مثقلة بالثمار القرمزية.

ابتدأت تملأ دلوها وهي تدندن بلحن عذب كما هي عادتها عندما تكون وحدها في الغابة، كانت تحب الغناء، كما أنه يدع الدببة تعلم بوجودها. وابتدأ اللحن يسترسل من حنجرتها حلواً صافياً وحشياً بشكل غريب.

كانت أغنية دون كلمات، لحن بديع...

كان الدلو قد ابتدأ يمتلىء عندما أجفلت لحركة ما، فرفعت نظراتها لترى غزالة تقف على مسافة قريبة منها، تخفق بأذنيها وقد بدا عليها التوتر.

ابتسمت وهي تنتصب واقفة ببطء وما زالت تغني. ولم تكن تعرف السبب عندما كان غناؤها، أحياناً، يجعل الغزلان

تقفز بعنف وهي تدير رأسها باتجاه الطريق، ثم تركض هاربة برشاقة لا مثيل لها.

وبعد ذلك بلحظة، رأت السبب الذي جعل الغزالة تجفل. كان هدير محرك كبير. ووقفت تنتظر مرورها، ولكن بدلاً من ذلك، اذا بها تسمع صوت المحرك يقف فجأة، ثم صوت باب سيارة يصفق.

خطر ببالها أنها لم تقفل باب سيارتها، ومن يقفل شيئاً في مدينة آبل؟ ولكن، ربما مازال هناك حتى الآن، شخص خال من الذوق يخطر له أن يمد يده ليستولي على المسجل الجديد في سيارتها.

ومشت بخفة إلى حافة الجرف حيث أخذت تنظر إلى حيث أوقفت سيارتها على أسفل الطريق بعيداً. وهناك، رأت سيارة فارهة سوداء رائعة الجمال ليست من نوع السيارات التي تعودت رؤيتها، تدخل إلى آبل. وكان يقف بقربها رجل قد أولاها ظهره ووقف جامداً لا يتحرك ولم يكن يبدو عليه أنه مهتم بسيارتها... كان بامكانها أن تعود الآن إلى عملها في جمع التوت، ولكنها، لأمر ما، لم تفعل.

كان ينظر إلى الوادي، كما كانت هي نفسها تفعل منذ فترة. وكان ظهره، تحت السترة الجلدية التي يرتديها، يبدو مسترخياً وكأنما وجد في هذا المنظر الهدوء والسلام، تماماً كما كانت وجدت منذ ساعة أو نحوها.

وفجأة، حدث الأمر دون إخطار مسبق، وتسارعت دقات قلبها كما أخذت تصدر عنها شهقات مختنقة.

كان هو نفسه، لقد عاد إلى موطنه.

إنه سيلقي على لوسي نظرة واحدة، ومن ثم يدرك أنه قد ترك خلفه أكثر من مجرد قلب محطم.

وقاومت ما سرى في نفسها من ذعر، محاولة استعادة هدوئها، وذلك بأن أخذت تحاول إقناع نفسها، وهي تعاود النظر إلى ذلك الظهر المغطى بالجلد متسائلة عما دعاها إلى الظن بأنه هو نفسه. الشعر طبعاً، والذي كان كثيفاً بني اللون ذا تموجات حمراء خفيفة. فقد كان لجاستين شعر طويل على الدوام... وثائراً. وكان يقول دوماً إنه لن يغير من شكل شعره هذا.

هدأت نفسها وهي تحاول إقناعها. كلا، إنه ليس جاستين رغم أنه ذكرها، بوضعه الجسماني، به. كان ظهره مسترخياً ولكن بشيء من الغطرسة والثقة بالنفس التي امتاز بها جاستين. ولكن نظرة أخرى منها إلى هذا الرجل جعلتها تلحظ مدى اتساع كتفيه إلى حد لا يصدق، بينما كتفا جاستين كانتا ذات مظهر صبياني غير ناضج.

وشعرت بالارتياح، ولكنها بقيت تراقبه حيث كان ما يزال في نفسها بقية من شك. وتمنت لو يستدير لكي تنظر إلى وجهه فيزداد اطمئنانها إذ تتأكد من أنه ليس جاستين.

هنأت نفسها بأن حالتها تتحسن. ذلك أن ردة فعلها هذه مضى عليها عدة أشهر... فقد كانت دوماً، من قبل تهتف من أعماقها وقد شلتها الصدمة، ها هوذا جاستين... وذلك كلما رأت كتفين أشبه بكتفيه تغيبان في الزحام، أو اشتمت رائحة ماء الكولونيا التي اعتاد أن يستعملها بعد الحلاقة...

عند ذلك تمر ذكرياتها عنه في خيالها... خصلات شعره الطويلة الثائرة تلتمع تموجاتها الحمراء في أشعة الشمس،

عيناه السوداوان اللتان لم تكن تستطيع مقاومتهما وهما تحدقان فيها. أسنانه التي كانت تتألق عند الضحك، كما يتألق الضوء الذي يتخلل الغابة.

طبعاً، إن هذا لا يمكن أن يكون جاستين. ولكن عنف المشاعر كانت دوماً تسبب لها رجفة.

لقد مر على ذلك ست سنوات، وهي مدة كفيلة بأن تميت مشاعرها في الأعماق.

وقفت متعمدة أن تشيح بوجهها عن ذلك الغريب الذي كان ما يزال واقفاً ساكناً متأملاً ذلك المنظر... لتعود إلى داخل الغابة دون أن تنتبه إلى ذلك الحزن الذي بدا في عينيها.

لم تسمع حركة السيارة تعود إلى السير. ولكنها ما لبثت، بعد برهة، أن نجحت في نفيها من ذهنها. وعاد النغم ينساب من بين شفتيها وبشكل أكثر رقة الآن... وحزناً...

وقف فترة طويلة يستنشق الهواء بعمق، إنه هواء الجبال بنقائه الذي لا يماثله نقاء في أي مكان آخر. ولا أحد يعلم كم عدد الأمكنة التي ذهب إليها. لقد كان يسميها حرية، ولكنه لم يتحرر من آبل قط. كما أنه لم يشعر بالحرية في أي مكان آخر. كما أدرك الآن وهو ينزل بنظراته إلى تلك الأسطح الحمراء والتي كانت تتألق في أشعة شمس آب (اغسطس)، مستكينة بأمان بين الحقول الخضراء.

هل ما زالت لورا هنا، فانها لا بد قد تزوجت منذ وقت طويل. فالفتيات في هذه الجبال يتزوجن باكراً.

وتملكه فجأة شعور حزين خشية أن تكون لورا ما زالت هنا.

وقف شعر رأسه فجأة، ذلك أن النسائم حملت إليه أنغاماً خفيضة، أنغاماً شجية صافية غير عادية الجمال.

أرهف أذنيه، فلم يسمع شيئاً سوى همس النسائم بين الأشجار. وبشيء من العنف، ترك ذلك المنظر ليعود إلى سيارته، وما لبث أن انحدر بها بسرعة وكأن احدهم يلاحقه، نحو مدينة آبل.

أبطأ في سيره عند ضاحية المدينة، ومن ثم أخذ ينظر إليها بحنين.

كانت الفيلات كلها تقع في شارع المدينة الرئيسي، أما المساكن فقد كانت منتشرة فوق التلال على الجانبين. فالمدرسة المؤلفة من غرفة واحدة، والمغلقة منذ وقت طويل، والملعب، كانا يقعان في مدخل المدينة مع بقية المحلات التجارية.

رأى وهو يسير بسيارته ببطء في ذلك الشارع المرصوف بالحصى، أن التغيير كان كبيراً حقاً.

كانت آبل، في حداثته، مدينة صغيرة آيلة للسقوط. ضحية لعالم قد سقط في غرام البلاستيك. ذلك أن منجم النحاس الصغير فوق المدينة كان قد أغلق في الخمسينات. وعندما كبر هو، كانت المدينة تغرق أكثر فأكثر في هوة النسيان وعدم المبالاة، لقد كانت البيوت المهجورة تملأ المدينة، أما تلك التي كانت وما تزال مأهولة، فقد كان العطب يدب فيها شيئاً فشيئاً.

ولكن المدينة الآن تبدو مزدهرة، فمداخل المحلات التجارية قد أصلحت ودهنت باللون الأبيض، كما كانت سلال الزهور تتدلى من زوايا مظلاتها. كما أمكنه أن يرى المنازل التي فوق الشارع الرئيسي وقد أصبحت ذات أسطح أنيقة من القرميد في تلك البراري التي لم تتحضر تماماً بعد.

سار أمام المحلات التجارية ببطء. لقد تذكر البعض منها، ولكنه صعق للتجديد الذي أحدث فيها. المخزن العام، صالون فيل للحلاقة، براد لحوم آبل... وكان هناك محل لبيع الهدايا كان يعرفه منذ الطفولة، ومعرض صغير للفنون، توارى خلفه دكان طوني فيشر، وعيادة جديدة للأسنان ثم... مقهى لورا...

أوقف السيارة بشكل مفاجيء كادت معه أن تنقلب.

كانت واجهة المقهى قد دهنت حديثاً باللون الأبيض، وقد كتب عليه بخط عريض مقهى لورا للقهوة. كما كانت الأزهار المتفتحة تتدلى من نافذتين مفتوحتين قامتا على جانبي الباب. وكانت الستائر القصيرة المخرمة تتراقص بفعل النسائم، وكان الباب الخارجي مفتوحاً يمنعه من الانغلاق أصيص غرست فيه الرياحين.

وعلى منضدة العرض في المدخل، كان ثمة اعلان عن فطائر التوت البري المغطى بالقشدة، لهذا اليوم خاصة.

أسكت محرك السيارة وهو يفكر في عدم قدرته على مقاومة ولعه بفطائر التوت البري.

خرج من السيارة، وكان قد هم باقفالها عندما تذكر فجأة أنه في مدينة آبل، عند ذلك وضع المفاتيح في جيبه.

صعد الدرجات الثلاث المسطحة إلى الباب، ومن ثم دخل من خلال الستائر.

قرع الجرس، ولكن لم يستجب أحد. لقد بدا المقهى فارغاً، فجلس إلى احدى الموائد ونبضات قلبه ترتفع. أتراها تغيرت؟ كبرت في السن.

ليتها لا تكون هي نفسها.

جالت نظراته في أنحاء المكان. لا بد أن هذا المقهى لها. فقد كانت شخصية لورا في كل بقعة منها. فكانت الأزهار على كل مائدة، كما أن الموائد والكراسي المصنوعة من الخشب القديم، لا مثيل لها... والتحف. كان الجو يعبق بروائح طيبة... هي مزيج من شذا الزهور ورائحة الخشب والخبز الطازج والقهوة.

تقدمت منه امرأة عجفاء نظرت إليه بصرامة، وشعر بقلبه يهبط من مكانه. هل هو الشعور بالارتياح؟ وبعد، ما الذي كان بامكانهما، هو ولورا أن يقول الواحد منهما للآخر بعد كل تلك السنوات التي مرت؟

سألته المرأة: «ماذا تطلب؟»

أجاب: «قهوة من فضلك. ثم قطعة من فطيرة التوت البري تلك، فقد مرت سنوات منذ أن أكلته آخر مرة.»

قالت: «وستمر عدة سنوات أخرى إذا كنت مجرد عابر طريق من هنا. لقد حدث شيء سيىء لفطائر التوت عندنا هذا الصباح، ويؤسفني أنني نسيت تغيير الاعلان عنها في الواجهة. سأحضر لك القائمة. هل أحضر لك حلوى التوت؟»

قال: «بالتأكيد، الكاتو لذيذ جداً.»

أدارت ظهرها له. لم يكن يعرف المرأة هذه رغم أنه كان يعرف، ذات يوم، كل شخص في المدينة. أتراها صاحبة محل لورا؟ فهذا الاسم، على أي حال، شائع جداً.

كانت القهوة عبقة طيبة الرائحة، وقد أحضرتها إليه المرأة بعد لحظات. أما الحلوى فقد استغرق تسخينها وقتاً، إذ قالت له المرأة، انهم لا يحبون أفران التسخين. واستنتج كذلك، من الطريقة التي كانت تنظر بها إليه، أنهم لا يحبون

كذلك السترات الجلدية. وقالت له: «تسلى بهذه إلى أن نجهز الحلوى. ودفعت إليه بصحيفة ثم تركته، فأخذ يتصفحها باهتمام، كانت إعلاناً ضخماً عن مدينة آبل، ذات اخراج قديم الطراز استثار اعجابه إلى درجة أخذ يبحث فيها عن اشارة إلى ناشرها ليجد أنه غرفة آبل التجارية.

وتمتم متسائلاً عما عسى أن تفعل غرفة تجارية في مدينة آبل...

وسمع الباب يفتح خلفه، ويظهر أنه لم يفتح إلى درجة كافية لكي يقرع الجرس، فالتفت ليرى فتاة صغيرة في مريلة حائلة اللون وقميص أصفر ليس نظيفاً تماماً، وكانت الطفلة تسير عابرة الغرفة بثقة تامة. وتكهن بأنها تبلغ الرابعة أو ربما الخامسة من عمرها.

تقدمت نحو مائدته دون تردد، فجذبت كرسياً آخر جلست عليه، ثم أخذت تسوي من ورقة مجعدة قليلاً، لتخرج قلماً من جيب مريلتها دون أن تنظر إلى الرجل أمامها، ومن ثم أخذت تعمل جاهدة على الورقة وهي تعض لسانها بين أسنانها.

قال يخاطبها: «مرحبا.»

قالت له: «ليس مسموحاً لي بالتكلم مع الغرباء.»

ووجهت إليه نظرة لوم. كانت عيناها بمثل سواد شعرها، وكانتا تتألقان بمكر مخيف. وعادت إلى عملها، فنظر إليها بذعر مفاجيء، ثم عاد إلى صحيفته.

سألته: «ماذا تعني كلمة غازات البطن؟»

فوجيء لسؤالها هذا، ليس لأنه كان سؤالاً غير عادي فقط، وإنما للفظها السليم لهذه الكلمة. فسألها: «ماذا قلت؟»

فعادت تسأله بفروغ صبر: «ما معنى كلمة غازات البطن؟»

قال: «كنت أظن أنه غير مسموح لك التكلم مع الغرباء؟»

أجابت: «لا يبدو عليك أنك غريب تماماً.»

قال بلهجة جافة: «شكراً.»

عادت تسأله: «ماذا تعني تلك الكلمة إذن؟»

رأى أنه لا يمكن إسكاتها، وألهم بأن يجيبها بأن عليها أن تسأل عن ذلك أمها أو أباها.

قالت له ببساطة: «ليس لي أب. هل من الممكن أن تكون هذه الكلمة إسماً جيداً لقطة؟»

أجاب: «كلا.»

سألته: «ما اسمك أنت؟» وبدا عليها وكأنها تريد أن ترى إن كان إسمه يصلح أن تطلقه على قطتها.

فأجاب: «إسمي جاستين، وأنت؟»

فلم ترفع عينيها عن عملها، كما لم تجب على الفور. وأخيراً قالت: «جاكي. إنني...»

وفتح الباب بعنف فتصاعد رنين الجرس، وانبعث صوت يقول: «أيتها الماكرة الصغيرة...»

فانزلقت جاكي عن كرسيها قائلة: «أظن أن علي أن أذهب الآن.» وأعادت قلمها بحرص إلى جيبها، ثم تابعت قائلة وهي تطوي الورقة بعناية وتناولها له: «وهذه لك.»

قال بنفس الرصانة: «شكراً.»

قالت له امرأة شابة يبدو عليها السرعة وهي تقبض بقوة على يد جاكي: «إنني آسفة.»

كانت المرأة صغيرة السن جداً، كما أنها بدت حاملاً. وكانت تسأل الطفلة: «كيف أمكنك أن تفعلي ذلك بي؟ لقد كنت

شديدة القلق عليك.» وتلاشى صوتها ثم عاد الباب يغلق خلفهما بعد أن خرجتا.

فتح جاستين قطعة الورق بفضول، وكان عليها أربعة أحرف، كل منها بلون مختلف، وارتفاعها يبلغ السبعة سنتمترات وقد اهتزت خطوطها: ا ف ق ع!

قدمت المرأة تحمل إليه قطعة الحلوى. فألقت من النافذة نظرة إلى الطفلة التي كانت تمر تحتها وهي تقول: «مصيبة.» ولم يفهم هو ما إذا كانت تشير إلى ما حدث للفطائر هذا الصباح أم لا. من المؤكد أنه لا يمكن إطلاق هذه الصفة، مصيبة، على طفلة جميلة في الخامسة من عمرها. وألقى نظرة على هدية جاكي إليه ثم سألها: «هل أنت لورا؟»

فقالت: «أوه، كلا طبعاً.»

وانصفق باب خلفي وارتفع صوت ينادي: «غريسيا.»

فقالت المرأة: «هذه هي لورا الآن.»

دخلت لورا من الباب الذي يفتح على المطبخ، نحو المنضدة وقد حملت بيدها دلواً... كانت ترتدي ثياباً بسيطة عبارة عن قميص أبيض، وتنورة واسعة وردية اللون يشدها في الوسط حزام أبيض.

كانت رائعة الجمال، كما يتذكرها تماماً. شعرها الطويل اللامع تتراقص خصلاته حول وجهها، وعيناها بنفس لون ربيع مدينة آبل. وكانت سمرة ذهبية خفيفة تصبغ بشرتها كما كانت وجنتاها تتقدان بالعافية. ولم يكن على وجهها أية زينة.

ووجد نفسه يدفع كرسيه إلى الخلف واقفاً وهو يقول برقة: «لورا...»

www.elromancia.com

حملقت فيه ثم هرب الدم من وجهها. لقد بدا له الخوف في وجهها جلياً.

كما سقط الدلو من بين يديها فانتثر التوت البري في كل مكان.

فكر في أن ست سنوات من الألم تكفي لكي يتخلى أي رجل عن حذره بالنسبة إليها. فهو لم يشأ اعتبار أنها ما زال لديها شيء من التأثير عليه بعد كل هذا الوقت.

ولكنها كانت مختلفة، على أي حال، فهو لم ير في وجهها ذلك الترحيب الحار... كان يبدو عليه فقط ذلك الحذر الذي يماثل حذره هو.

وأخيراً قالت وقد تمالكت نفسها: «جاستين.» إنه إذن كان مخطئاً إذ ظن ما بدا على وجهها خوفاً، بل كان دهشة فقط. وتابعت قائلة: «هل أنت مجرد عابر سبيل فقط؟»

كانت هذه هي المرة الثانية التي يلقى عليه فيها هذا السؤال. إن بامكانه أن يرى من صوت لورا أنها تتمنى لو يرحل بعد انتهائه من تناول قهوته هذه، وأكل قطعة حلوى التوت.

قال ببرود: «كنت قد تركت بعض الأملاك هنا. ولسبب غير معروف، تريد المدينة أن تشتريها مني.»

سألته بدهشة: «هل أنت صاحب ذلك المنزل القديم في شارع ستارز رود؟»

أجاب: «إنه كان ملكاً لعمي.»

قالت: «لم أكن أعلم ذلك.»

ساوره شعور بأنها لو كانت تعلم ذلك لما عرضت عليه المدينة شراء تلك الأملاك منه. لماذا؟ ومنذ متى ابتدأت لورا تحكم المدينة؟

قالت: «إن المدينة تريد شراءه لأننا كنا نقوم باصلاح المنازل القديمة كل عام، منذ سنوات قليلة. وقد جعلنا عليها عدة جوائز، وكانت هذه طريقة جيدة لاعادة الناس إلى المدينة.»

لقد كانت فعلاً طريقة جيدة كان سيسر لها أكثر لو لم يلاحظ ذلك التوتر في صوتها، وكأنها كانت تجاهد في سبيل أن تبقي الأمر في نطاقي العمل والصداقة في وقت واحد.

قالت: «كما أوضحنا لك من خلال المحامي، فنحن سنعرض عليك سعر السوق لأجله. وطبعاً، سعر السوق في مدينة آبل ليس غالياً.»

طيلة الطريق إلى هنا، كان مصمماً على بيع ذلك البيت القديم. كان يفكر في مقدار الراحة التي سيجنيها من جراء قطعه آخر رباط له مع مدينة آبل. فقد كان المنزل الذي أمضى طفولته فيه قد احترق كلياً. وعندما يذهب منزل عمه، فلن يبقى ثمة ما يربطه بهذا المكان. لا شيء.

ولكن الكلمات التي تفوه بها قد أذهلته، إذ قال: «لقد قررت عدم البيع.»

ولسبب ما، ملأه الفزع الذي بدا على لورا بشعور هائل بالرضى.

الفصل الثاني

نظرت لورا إلى جاستين ذاهلة، وهي تفكر في انه تغير حقاً. ذلك انه لم يكن سوى فتى يافعا في الثانية والعشرين من عمره عندما ترك المدينة منذ ست سنوات.

لا بد أنه الآن في الثامنة والعشرين، ولم يعد فتياً. لقد اصبح جاستين الآن رجلاً بكل مافي هذه الكلمة من معنى، لقد امتلأ جسمه الصبياني بالعضل، كما اصبحت كتفاه اعرض، وقد تلاشت من ملامحه مظاهر الطيش والدعابة الصبيانية، ليحل مكانها هالة من السيطرة وضبط النفس. كذلك نضوج غير مكتمل في خطوط وجهه وفي عمق عينيه.

ولكن، مازال في عينيه السوداوين تلك، لمحة باقية من ذلك المكر لم يروض بعد. كما أن شعره مازال طويلاً كثاً، ينسدل على ياقة سترته التي تشهد بثرائه ونجاحه، وتذكرت سيارته التي كانت هي أيضاً تشهد بذلك الثراء والنجاح.

جاءت غريسيا تحمل المكنسة وهي تتمتم قائلة: «يا للتوت المتناثر في هذا المكان.»

فانفجر جاستين ضاحكاً، بينما حملقت لورا فيه. لقد القى برأسه إلى الخلف أثناء الضحك كعادته على الدوام. وكانت اسنانه مستقيمة ناصعة البياض، ورأته للحظة، لحظة واحدة، نفس الفتى الذي كانت تحبه... فتى طائشاً كثير الضحك، ذا طاقة هائلة.

قال لها: «تناولي فنجاناً من القهوة معي يا لورا.» كان

صوته دوماً عميقاً اجش ذا رقة، حتى ولو كان ما يقوله مجرد طلب المملحة على المائدة.

وفكرت في عرضه هذا... فلو انها رفضت، ربما تكهن بما تركه رحيله من جرح في اعماقها، وانها لم تصل بمشاعرها نحوه إلى قرار حاسم. ولكنها إذا قبلت، فبامكانها أن تعرف طبيعة مخططاته، فتعلم من وراء ذلك المدة التي بامكانها اخفاء لوسي عن الأنظار. ثم ان بامكانها حمله على بيع منزل عمه.

وفجأة، شعرت وكأن كل ما جاهدت لأجله قد تمزق اشتاتاً امام عينيها. لقد كافحت طويلاً لكي تمنح ابنتها شعور الاستقرار الذي لم تعرفه هي في طفولتها قط. لقد بدت لها حياتها هذا الصباح وكأنها قد اكتملت تقريباً، رغم ما حدث لفطائر التوت البري، والذي كان شيئاً عادياً يستدعي الضحك في النهاية. ولكن هذا، الآن، ليس من ذلك النوع، فما كان جاستين يحدثه بقلبها كان بمجمله، كارثة... كارثة من ذلك النوع الذي امضت امها حياتها ترقص على انغامها.

قالت بصوت بدا لها غريباً في اذنيها: «لا بأس.» فاستدار عائداً إلى كرسيه، بينما كانت هي تنظر إليه. كان يتحرك بتلك السهولة والثقة بالنفس التي لفتت نظرها عندما رأته هذا الصباح.

ازدردت لورا ريقها، وتحولت بسرعة تحضر شيئاً من البسكويت بينما كان هو يتخذ مكانه ليجلس. ومع انها كانت نادراً ما تستسلم لاغراءات ما يحتويه محلها، فقد شعرت فجأة بأنها تريد ان تشغل نفسها بشيء ما... وهكذا سكبت

لنفسها كوباً من الشاي المثلج، ثم تقدمت من مائدته لتجلس امامه وقد تصلب جسمها.

قال: «هكذا إذن، انه فصل التوت البري الآن في آبل؟»

ومرة أخرى، عاد صوته يثير فيها الذكريات الدفينة، وتذكرت ما كان يهمس لها به دوماً، (لورا... انني سأحبك دائما.)

لم يكن يعلم ما كان لكلمة (دائماً) من تأثير على فتاة مثل لورا، تجرجرها من مدينة إلى أخرى.

«لورا...»

حدقت فيه وقلبها يخفق في صدرها بجنون، فقال: «اتذكرين عندما كنا نجول في البراري نأكل التوت البري حتى تصبح اسناننا قرمزية اللون؟»

لم تستطع ان تتحمل أي حديث يبدأ بكلمة اتذكرين، لأنها كانت تتذكر كل شيء بنهم وظمأ وبكثير من الذهول والحيرة.

كان لديها سؤال واحد تريد ان توجهه إليه، وهو، لماذا رحلت؟

ولكنها قالت بحدة: «لا اريد ان اتحدث عن الماضي.»

فزحفت إلى وجهه الوسيم نظرة متحفظة، وأخذ يرشف قهوته وقد ضاقت عيناه من فوق حافة الفنجان، ثم قال بلامبالاة: «لا بأس، فلنتظاهر بأننا تعارفنا فقط هذا النهار.» وكان في صوته شيء من السخرية ليتابع قائلاً: «اخبريني كيف حدث وصرت تعملين في كارثة التوت هذه، بعد ان كنت تركضين في البراري والجبال حرة كالغزال. كنت لا تعرفين حتى تحميص الخبز. يا لورا... آه، آسف. فليس من المفروض أنني اعلم كل هذا.»

قالت بفتور: «اظنني كبرت سناً.» ولم تشأ ان تقول ان الحاجة هي التي جعلتها تكبر في السن، وان الركض في البراري حافية لم يعد ممكناً بالنسبة إليها بعد ان اصبحت مسؤولة عن مخلوقة صغيرة غالية.

قال: «اظن هذا صحيحاً.»

قالت وهي تلحظ ما بدا في صوته من حزن، إذ لم تكن تريد ان يشعر بالأسف لأجلها: «انها ليست كارثة التوت هنا كما تقول. لقد حدث فقط انك وفدت إلينا في نهار سيىء.»

فابتسم وهو يغيظها بقوله: «إذن فهو نعيم التوت إذن؟»

وقالت متظاهرة بالمرح: «يمكنك ان تقول ذلك. فهذا العمل يمنحني متعة كبرى. اعني انه عمل شاق ولكن نتيجته حسنة. وقد نجح اكثر مما كنت اظن عند البداية. فثمة أشخاص كثر من السواح يتوافدون إلى هذه المدينة اثناء الصيف. فبجانب ان محلي هذا هو لتقديم القهوة، فانني أموّن مطعماً راقياً في دروبس بفطائر التوت البري الطازجة، وحلوى التوت. وكذلك محلاً لتقديم القهوة في منطقة ستانديل.»

انتبهت إلى نفسها لترى انها كانت تثرثر بعصبية، فسكتت.

لماذا هو لم يسمن؟ لماذا لم يخبىء هاتين العينين الآثمتين خلف نظارات سميكة؟

سألها: «هل انت متزوجة، يا لورا؟»

حذرت نفسها من أن تقرأ أي شيء خلف هذا السؤال. فهو سؤال عادي تماماً بين شخصين لم ير احدهما الآخر منذ وقت طويل.

فردت بطلاقة: «لقد تزوجت نعيم التوت البري. وماذا عنك

انت، يا جاستين؟» وانتبهت إلى انها كانت تحبس انفاسها لتسمع جوابه.

أجاب: «كلا.»

ما الذي جعلها تشعر بالارتياح لجوابه هذا؟ اتراها عادت لتصبح تحت تأثير جاذبية هاتين العينين المدمرتين؟ فهي، من دون الناس جميعاً، عليها ان تعرف من هو جاستين.

لا شك ان شعورها ذاك بالارتياح مردُه، كما حاولت ان تقنع نفسها، لعدم زواج جاستين، ما يثبت ما سبق وعرفته عنه، وهو ان ليس ثمة امرأة تستطيع ان ترتبط به مدة طويلة، وهي، من دون الناس جميعاً، عليها أن تعرف ما الذي يمثل هذا الذي يسمونه حباً، بالنسبة إلى الثبات والاستقرار، وهي التي كانت خير شاهد على عواطف أمها وادمانها المحزن على الحب، لتقع هي نفسها في الشرك، ولكنها قد تحررت الآن من ذلك، وتريد ان تبقى كذلك.

قالت بلهجة عفوية انما عيناها كانتا تراقبانه: «لقد عادت غليندا ويست.»

قطب حاجبيه وهو يقول مفكراً: «غليندا ويست؟ آه، غليندا... نعم، كيف حالها؟»

لو كانت المقلاة الحديدية الثقيلة في متناول يد لورا، لضربته بها على رأسه.

اجابته باختصار: «لقد شفيت.»

سألها بدهشة: «شفيت من ماذا؟»

ففكرت لتقول، منك، ولكنها قالت عوضاً عن ذلك: «ماذا بالنسبة إلى منزل عمك، يا جاستين؟»

كانت لهجتها قد تحولت إلى البرود، انها تريد الآن أي معلومات عن الموضوع، وبعد ذلك الابتعاد عنه. فقد كان شديد الخطر بالنسبة لفتيات مدينة صغيرة، مثلها ومثل غليندا.

قال بمثل لهجتها: «ماذا عنه؟»

سألته: «لماذا تريد ان تحتفظ به؟»

أجاب: «ولِمَ لا؟»

قالت: «انك لا تأتي إلى هنا مطلقاً، فلماذا تتمسك بشيء ليس له قيمة عندك؟»

أجاب: «انها عادة سيئة لديّ. وهي التمسك بأشياء من الأفضل ان اتخلى عنها.»

واشتبكت نظراتهما، مليئة بالذكريات المظلمة والعهود الأكثر ظلاماً، وشعرت بوجهها يتوهج. وحدثته بصمت، آه، بالتأكيد يا روميو، انني اراهن على انك تسهر الليالي، طوال الستة اعوام الماضية، تفكر بي.

ولكنها قالت له برقة: «ربما لديك الآن فرصة ممتازة لتهجر هذه العادة.» ولكن تلك الرقة كان يشوبها رنة غضب بالغة الضآلة، تحذره بها ان لا يعود مرة أخرى، للعبث بقلبها.

قال: «ان المنزل ليس للبيع.»

قالت: «لا اظنك بحاجة إلى المال مثلنا نحن المساكين.»

سألها: «هل انت بحاجة إلى المال، يا لورا؟»

فاجفلت من هذا الاهتمام المفاجيء في عينيه، وما بدا في صوته من عطف صادق. واجابت: «كلا.»

فابتسم ابتسامة تحوي من الرضا والغطرسة ما جعلها تتمنى لو تصفعه، وقال: «ولا انا.»

سألته: «لقد قمت إذن بعمل جيد لنفسك؟»

قال: «لقد انشأت شركة منذ عدة سنوات في ستاندوفر اسميتها لحن البراري.»

ساورها الذهول. لقد كانت مدينة آبل تجتذب حشوداً من الجوالين والمخيمين وغيرهم في الصيف، ومنذ سنوات حتى الآن، وهي ترى بطاقة داخلية على معداتهم مكتوب عليها لحن البراري. ومع هذا، فان صوته وهو يلفظ اسم شركته لم يكن ينم عن أي كبرياء أو زهو. وفي الواقع، خيل اليها انها احست فيه بحنين غلام إلى موطنه، تلك المدينة الصغيرة بين الجبال، وهو يشق طريقه في مدينة واسعة مثل ستاندوفر. ولكنها نكرت نفسها بحزم انه كان هنا في آبل سيد المتحايلين.

قال: «عندما ابتدأت العمل في الخارج، اخذت في اختزان كل معدات الجوالين من خيم، واكياس نوم، واغذية وكتب المناطق الجبلية.» وهز رأسه قائلاً: «ويبدو انني كنت في المكان المناسب في الوقت المناسب إلى الفكرة الصحيحة. وانا الآن اقوم بانتاج بعض الأعمال المستقلة عنها، وهناك مخازن لحن البراري في ويلدنغ وغرامتشا ونوستي، ومن يدري البلد التالي؟ ربما كان آبل.»

قالت بسرعة: «ولكن ليس لدينا ذلك العدد الكبير من السكان الذي يساعد على انجاح مخزناً كهذا، فالناس يمرون ليتناولوا فنجان قهوة وفطيرة توت بري يومياً، هذا إذا كان العمل جيداً. ولكن الشخص لا يشتري الخيمة وحقيبة الظهر سوى مرة كل عدة سنوات، ونسبة مئوية قليلة من السكان فقط هي التي تهتم بشراء ذلك.»

كان يضحك منها وهي تتكلم وقد بدا المكر المألوف في عينيه، فشعرت بحماقتها إذ تحاول اسداء النصح، بينما لا بد أنه قد سبق وبحث في الموضوع.

قال: «ها أنت ذي قد اصبحت امرأة اعمال يا لورا.»

قالت بابتسامة متوترة: «نعم، ولا بأس في ما اعمل، وان لم يكن في نفس مستواك. ولهذا، اذا لم تكن آبل هي المكان التالي لمخزن لحن البراري فلماذا لا تبيع بيت عمك؟»

بان الشرود على ملامحه، وهو يجيب بفتور وعناد: «كلا.»

قالت بجفاء: «حسناً، كم تظن انك ستبقى هنا إذن؟»

أجاب: «لا أدري تماماً. هل تكرهون الغرباء في هذه المدينة؟»

ولكنه لو كان غريباً، لعرفت كيف تعامله بكل رباطة جأش. فوقفت قائلة: «انني مشغولة.»

وقف هو أيضاً وقال: «كان جميلاً ان اراك مرة أخرى، يا لورا.» وكانت كلماته مغلفة بالتهكم. وعاد يقول: «ربما ابقى اسبوعاً.»

اجفلت ثم ادركت انه لاحظ ذلك إذ عاد يقول بابتسامة غير ودية: «وربما اسبوعين... انني لم اقم بإجازة منذ سنوات.»

قالت، راجية ان لا يبدو اليأس في ملامحها: «ولكن لا شيء هنا يستحق ان تمضي اسبوعين لأجله.» كيف بامكانها ان تخفي طفلة مثل لوسي مدة اسبوعين؟ انهما هي ولوسي، لم تقوما بإجازة منذ مدة طويلة كذلك. ربما بامكانها الآن...

قال وهو ينقر الصحيفة بخفة: «ليس هذا رأي الاعلان.»

كان مدركاً جداً إلى التأثير الذي احدثه في نفسها، وانه

سبب لها الاستياء، وقالت بسرعة: «انني مسرورة برؤيتك مرة أخرى، يا جاستين.»

وقفا يحدق الواحد منهما في الآخر. قال برقة وقد بدا الألم في صوته: «لورا.»

لقد كان للهجته هذه ان تذيبها، لولا كذبه، إذ قال لها ذات يوم انني سأحبك دائماً.

لقد سبق وحطم قلبها مرة. وهو الآن أشبه بإناء صيني تحطم ثم عاد فالصقت قطعه بالغراء، فهو هش، حافل بالعيوب.

ليس بامكانها ان تمنح هذا الرجل قلبها مرة أخرى، ثم عليها ان تضع لوسي في الاعتبار. لقد منحت لورا ابنتها حياة مختلفة عن حياتها هي. ولوسي الآن تعتقد ان بامكانها منح المحبة من كل قلبها. فهي تمنح ثقتها كلياً ومن اعماق روحها.

فسن الخامسة هو اصغر من ان تتعلم غير هذا وخصوصاً من أبيها.

«لوسي، اننا بحاجة إلى ان نتحدث بشأن ما فعلته بفطائر امك.» وكانت وجنتا لوسي موردتين بعد الحمام، بينما تجاعيد شعرها تحيط بوجهها السمين.

ابتسمت لوسي بوجه أمها، وهي تقول مزهوة: «ألم تكن تبدو رائعة الجمال يا امي؟ انها مثل الكف المصنوعة من الجص التي صنعناها لكي نضعها على جدار غرفة نومك. ولكن بصماتي أنا اجمل لأنها قرمزية اللون.»

قالت الأم: «لوسي، ان الفطائر للبيع، وأنا لا يمكنني بيعها اذا كانت عليها بصمات اصابعك، ان الفطائر ليست لك، وقد اخطأت بلمسها.»

فبدا الذعر على وجه لوسي وقالت: «هل معنى هذا انني فتاة سيئة؟»

أجابت الأم: «انك تعلمين يا حبيبتي ان من غير المسموح لك بدخول مطبخ المقهى، ولكن عملاً سيئاً كهذا تقومين به، لا يعني انك فتاة سيئة. عليك الآن ان تجمعي لي دلواً من التوت البري لكي اتمكن من صنع فطائر بديلة لما اتلفته.»

كان للوسي عقل تجاري غريب بالنسبة لعمرها، ولأنها كانت ترى أمها تدفع نقوداً للأولاد الذين يجمعون لها التوت البري، اعتبرت انها هي أيضاً ستقبض ثمناً لما ستجمعه، فقالت ساخطة: «اتعنين ان هذا سيكون مجاناً؟»

أجابت الأم: «نعم.»

فأطلقت الابنة صرخة عالية تخدش الآذان وهي تمد يدها تمسك بشعر أمها غاضبة وهي تصيح: «انني أريد أجرة احضاري التوت لك، أنا أريد ذلك. وإذا لم تعطني فسأموت، يا امي، سأموت إذا انت لم تعطني اجرتي. انني أوفر كل نقودي لأمر خاص، يجب أن تصدقيني. وإلا فلن افعل. لن افعل، لن...»

خلصت لورا شعرها من يد إبنتها. وكانت لوسي قد هدأت قليلاً الآن، فأخذت تتكلم بسرعة، مكررة نفس الكلام مرة بعد مرة، وفي كل مرة كان عنفها يزداد.

تنهدت لورا وخرجت من الغرفة مغلقة الباب خلفها بحزم. ثم استندت إليه. واجفلت عندما اصابت الباب خبطة قوية، واصبحت الصرخات الآن غير عادية، وسمعت ابنتها وهي تركض في انحاء الغرفة بوحشية، فتحطم أشياء، وتمزق رسوماتها على الجدران.

وسمعت لورا قرعاً على باب غرفتها، ثم دخلت غريسيا تقول: «لقد كنت في الخارج أسقي زهوري فسمعتها. مسكينة أنت، فقد أمضيت يوماً شاقاً، تعالي واجلسي عند المدخل الأمامي حيث لا تسمعين صوتها من هناك.»

وبعد ذلك بلحظات كانت لورا تجلس في المدخل على الدرجات، وقد وضعت ذقنها بين كفيها، محاولة تجاهل صوت التحطيم خلفها في الداخل. جلست غريسيا بجانبها، لتقول بعد لحظة: «هل ذلك الرجل الذي جاء اليوم هو والدها؟»

استدارت لورا إليها مذعورة وهي تسألها: «وكيف عرفت؟»

أجابت: «ان اعينهما متشابهة... ثم النظرة التي كانت في عينيك. مم أنت خائفة، يا حبيبتي؟»

«لا ادري. أخاف أن يعرف بالأمر، فيشاركني فيها.»

ابتسمت غريسيا ساخرة وسألتها: «اتظنين أنه سيطلب المشاركة في مثل ذلك؟»

وكانت الأصوات الآتية من الداخل الآن قد اصبحت مزيجاً من العويل والثورة.

فتساءلت لورا بصوت عال: «هل كان من الخطأ ان لم اخبره عنها؟ انني لم اكن اعرف مكانه، لقد كنت سمعت أنه يعمل على ظهر سفينة لكي يصل مجاناً إلى الشرق، ففكرت في أنه حتى ولو وجدته وأخبرته، ربما ظن أنني اتحايل عليه لكي ألزمه بدفع نفقات لها بعد طلاقنا.»

اما ما لم تقله، فهو انها لم تكن تريده أن يعود لأجل الطفلة، وانما كانت تريده ان يعود لأجلها هي.

قالت غريسيا: «لورا... انني واثقة من انك بذلت جهدك.»

فقالت لورا: «لا اظنك ترين أن عليّ ان اخبره الآن، أليس كذلك؟»

أجابت المرأة: «في الواقع، اظن ان عليك ذلك. فقد حملت عبئها على كتفيك وحدك، مدة طويلة.»

قالت لورا بضيق: «ان آخر شيء يحبه جاستين هو احتمال الأعباء.»

قالت غريسيا: «لا يبدو عليه أنه عديم المسؤولية، بالرغم من شعره الأشعث وسترته الفظيعة.»

لم تملك لورا سوى الابتسام وهي تقول: «غريسيا، ان ثمن تلك السترة يوازي دخل محلنا الاسبوعي.»

لوت غريسيا شفتيها قائلة: «ليس ثمة حساب للذوق. ثم اذا كان بامكانه ان ينفق هذا المبلغ ثمناً لسترة، فهو صيد جيد، هل تحبينه يا ابنتي؟»

سكتت لورا طويلاً، لتقول اخيراً: «ومن يعرف ما هو الحب؟ حينذاك ظننت انني أحببته. نعم.»

قالت غريسيا بسرور: «إذن فقد قطعت منتصف الطريق.»

قالت لورا بعنف: «كلمة احببت هي فعل ماضي. فأنا لا اريد أبداً ان اقع في الحب مرة أخرى.»

قالت غريسيا: «إنك ما زلت صغيرة، فتلقين كلامك هذا باندفاع.»

قالت لورا: «كلا. فالاندفاع يحدث حين الوقوع في الحب. لقد عرفت ذلك. فهو يجرّد الشخص من كل شيء. من القوة، من المنطق. إن الحب وسوء الاختيار سواء.»

قالت غريسيا برقة: «ولكنك لست مثل امك.» ولكن لورا

كانت تعلم ان فيها من الشبه بأمها اكثر مما تريد ان تعترف به.

وتوقفت الثورة داخل المنزل بنفس النحو المفاجيء الذي ابتدأت به. وبعد لحظات خرجت لوسي من الباب الأمامي وقالت لغريسيا وهي تجلس في حضن أمها: «مرحباً يا غريس.» واخذت تتثاءب راضية، وكانت آثار الدموع على خديها هي الشاهد الوحيد على ثورتها.

أجابت غريسيا بمزيج من العطف والسخط: «مرحباً يا لوسي.»

قالت لوسي: «مامي. هل اسم جاستين هو اسم مناسب لهرة؟»

تصلب جسم لورا وقالت: «كلا.»

قالت لوسي: «أوه.»

سألتها أمها بحذر: «لماذا تسألين؟»

أجابت: «حسناً، اذا أنا حصلت على واحدة من الهررة فأنا اريد لها اسماً جميلاً غير عادي.»

فقالت الأم: «لقد سبق وقلت لك كلاً بالنسبة إلى الهررة.»

فهزت لوسي كتفيها و قالت: «ربما تغيرين رأيك.»

قالت الأم: «انني لن اغير رأيي.» وشدت يديها حول ابنتها وهي تسألها: «من أين سمعت باسم جاستين؟»

أجابت لوسي: «كان في المقهى اليوم رجل بهذا الاسم، وكان يرتدي سترة سوداء لامعة جداً. ولهذا فكرت في أن الهرة اذا كانت سوداء فان هذا الاسم يناسبها.»

سألتها بصوت متوتر: «وهل تحدثت إليه يالوسي؟»

أجابت: «كلا.»

تنهدت الأم بارتياح. لقد شاهد جاستين لوسي ولكنه لم يخمن شيئاً. وبدا وكأن أول حاجز في سباق القفز على الحواجز، قد اصبح خلفها. وتلاقت عيناها بعيني غريسيا، فهزت هذه رأسها، ثم قالت: «انني صاعدة إلى غرفتي، فهذا وقت النوم لكبيرات السن.»

فقالت لورا: «للفتيات الصغيرات. حسناً يا لوسي، يا هرة، هيا إلى النوم.»

غرقت لوسي في الضحك قائلة: «ربما اسم لوسي مناسب للهرة.»

وعندما كانت أمها تضعها في سريرها، قالت لها: «مامي؟ هل تعرفين ذلك الرجل؟»

أجابت: «وماذا بشأنه؟»

قالت بندم: «لقد تحدثت إليه.»

سألتها بصوت مختنق: «وهل اخبرته باسمك؟» ذات يوم، عندما كانت تعتقد انه سيحبها دائماً، قالت له انها ستسمي ابنتهما الصغيرة لوسي. وربما هو لا يتذكر ذلك باعتبار ان حبه كان سطحياً تماماً، ولكن، قد يتذكر.

بدا الندم على لوسي مرة أخرى وقالت: «لقد قلت له ان اسمي جاكي.»

كتمت لورا ضحكها وسألتها: «لماذا قلت له ذلك؟»

قالت لوسي: «لأنه غير مسموح لي بالتكلم مع الغرباء.»

فمرت لورا بيدها على شعر ابنتها و قالت: «حتى ولو تظاهرت بأن اسمك جاكي، فأنت مازلت لوسي، ومازال غير مسموح لك بالتكلم مع الغرباء.»

قالت لوسي: «لقد شعرت وكأنني جاكي حقاً.»

www.elromancia.com

قالت لورا: «ومن هي جاكي تلك؟»

أجابت: «انها فتاة في الكتاب. وهي حسنة السلوك جداً. وعندما جلست مع جاستين شعرت بأنني جاكي. انني لم اطلب منه قطعة من الحلوى الذي كان يأكله. كما انني لم اهرق قهوته. وقد اعطيته هدية. ربما تمنى، حينذاك، لو كنت انا ابنته.»

فكرت لورا بأنها هي لا تتمنى ذلك. ولكنها استمرت تمر بيدها على شعر ابنتها الجعد وهي تركز الاضطراب وعدم اليقين في هذه الكلمات.

كانت آبل مدينة صغيرة تقليدية في عالم متغير وكان هذا ما يجذب لورا اليها. ولكن اكثر العائلات هنا كانت مؤلفة من والدين، ولكن لوسي كانت تعيش بلا أب.

همست لابنتها تقول: «انني احبك يالوسي، احبك كما انت.»

بدا على وجه لوسي الارتياح وقالت: «وأنا احبك يا مامي. هل اسم جاكي يناسب هرة، لو حصلت على واحدة انثى؟»

لم يكن فندق آبل يبدو عليه روح التجديد التي اجتاحت بقية المدينة، فقد كانت غرفة جاستين تحتوي على سرير حديدي، ومصباح كهربائي عادي، ومنضدة للزينة قد تكون فوقها حوالي نصف دزينة من الروايات. وكان الجو حاراً، وعندما فتح نافذته تدفق منها حشد من الذباب الذي كان ينتظر في الخارج متلهفاً للدخول.

لقد انطلق في شوارع آبل دون ان يعترف لنفسه بأنه كان يتساءل أي واحد من تلك البيوت هو بيتها، ولم يكن يظن ان المنزل الذي كان قد تركه، هو صالح للسكن، ولكن لم يكن ثمة بأس من إلقاء نظرة.

سار في الشوارع السكنية المنحدرة وهو يشعر بالسلام يكتنف نفسه.

لقد اثارت لورا في نفسه اضطراباً لم يعهد مثله. ولكن آبل هي دوماً بهذا الجمال في ليالي اواخر الصيف. كان الضوء ذهبياً هادئاً، وهو يبقى كذلك مدة قصيرة ومن ثم تتوارى الشمس وراء سلسلة جبال آبل. ومن ثم يهبط الليل بسرعة مخيفة.

لاحظ أن انوار شرفات الأبواب الأمامية للبيوت كانت مضاءة، والناس يجلسون في حلقات دافئة، والأضواء تترامى على حدائقهم ومروجهم الخضراء، ماذا حدث لآبل؟

مر برجل يشذب عشب حديقته، فاعجبه الصوت والرائحة ولكن ذلك اشعره بالحسرة، اذ لم يختر هو طريقة حياته بكامل ارادته.

كانت تلك الحسرة تتزايد في نفسه منذ مدة طويلة. كان يتوق إلى حشائش في حديقة بحاجة إلى تشذيب، وإلى وتد ابيض في سياج بحاجة إلى طلاء.

تمتم يحدث نفسه، اصحيح هذا، يا جاستين؟ فهو لا يبدو ذلك الرجل الذي بامكانه التقيد برباط مقدس. لقد كان جرب ذلك مرة، ولكن العلاقة لم تدم اكثر من ستة اشهر.

بدا وكأن روحه قد اصبحت مشبعة بلحنها الفطري. لقد كان مسروراً هذا النهار عندما تحدث عن متاجره، فلم تشر هي إلى أنه اطلق على متاجره تلك، اسماء تلك الألحان البرية التي كانت لورا تغنيها في الغابات الباردة اثناء ايام الصيف الحارة.

لم يكن يتوقع رؤيتها حقاً، كما انه حتماً، لم يكن يعلم بما

ستكون عليه ردة فعله نحوها. الشوق، الشوق إلى ايام ولت ومضت... ايام بسيطة وحلوة برية وحرة.

كانت هناك نسوة يعلمن بأمر لورا رغم أنه لم يذكر اسمها قط، حتى هو نفسه لم يكن يدرك ذلك قبل ان يقف هذا النهار امام منزل في نهاية الشارع.

«انك جاستين، اليس كذلك؟»

نظر مجفلاً، كانت المرأة المسنة التي تعمل في مقهى لورا للقهوة تنظر إليه، بينما كانت تقف خلف جدار صخري منخفض وبين يديها رشاشة لسقي النبات.

سألته: «هل وجدت آبل قد تغيرت؟»

أجاب: «نعم، لقد تحسنت.» ورأى ولدين صغيرين يتصارعان على الحشائش المشذبة حديثاً في الحديقة المجاورة لها. فساوره شعور يشبه الحسد، وتابع يقول بلهجة اعتذار: «لقد كنت اعرف كل شخص في آبل، انك غير معتادة على رؤية وجوه جديدة هنا.»

قالت غريسيا: «لقد ربحت احد بيوت لورا. لم اكن واثقة من انني سأحب الإقامة هنا. ولكن في عالم ثائر، مسرع، لا يعترف بالجيرة، نجد آبل بلدة مسالمة هادئة ودودة.»

سألها: «احد بيوت لورا؟»

قالت: «ان لورا عملت الكثير لكي تصنع من آبل ما هي عليه الآن. فهي صاحبة اعادة فكرة رفع الاعتمادات المخصصة، وذلك حين اختيرت رئيسة بلدية...»

قاطعها بحدة: «لورا رئيسة بلدية آبل؟»

أجابت: «ليس الآن، فقد رفضت ان تقوم بذلك السنة الماضية، ولكننا جعلناها رئيسة غرفة التجارة بدلاً من

ذلك. على كل حال، عندما كانت رئيسة بلدية، خطرت لها هذه الفكرة الجنونية وهي ان تسوي مسألة البيوت المهجورة التي آلت إلى البلدة لعدم دفع الضرائب، ثم تجري عليها قرعة. وقد اجتمع بعض المتطوعين للعمل، فاصلحوا الأمكنة القديمة، وبذلك أصبحت افضل مما كانت حين بُنيت أول مرة. وقد ابتعت انا تذكرة فربحت.» وكانت غريسيا تتكلم مزهوة، وهي تشير إلى منزل صغير أنيق خلفها، وهي تتابع قائلة: «وقد وجدنا، فيما بعد، ان شراء البطاقات والقرعة ادخل إلى خزينة البلدية خمسة وعشرين ألف دولار، فقد كانت الدعاية هائلة في حجمها، وابتدأ الناس يحومون حولها متطلعين إلى البيوت والاقتراعات وذلك لرخص الأثمان. فهذا المكان حسن بالنسبة لبيت يقضي فيه المرء فصل الصيف حتى ولو لم تكن مقيماً هنا. اننا نضع بيتاً للقرعة كل عام، وهي البيوت التي لم تدفع ضرائب منذ مدة طويلة، وهذا هو السبب في رغبتنا بشراء منزلك.»

قال: «انه ليس للبيع.»

بدا ان المرأة سرت لهذا الجواب اكثر مما انزعجت وقالت: «ان هذا المكان حسن الاستقرار.» فدار رأس جاستين. لماذا تمنح لورا نفسها لمدينة آبل بدلاً من أن تمنحها لرجل وأسرة كاغلب النساء اللاتي في سنها؟

قال يسألها: «هل مازال جو فيرست هنا؟» كان يريد ان يلقي على لورا هذا السؤال عصر هذا النهار وعما حدث بينها وبين جو، ولكنه لأمر ما، لم يستطع حمل نفسه على ذلك، فربما تكهنت بمبلغ اهتمامه وألمه لهذا في ذلك الحين.

أجابت المرأة: «لقد سمعت بهذا الاسم، ولكنه لا يسكن في آبل.»

قال: «حسناً. اظن ان من الافضل ان اتابع سياحتي في مدينة لورا قبل ان يظلم الليل.»

قالت: «لا تضحك. ان بامكانك ان تنال كثيراً من الاصوات في هذه المدينة لهذا الاقتراح. كما انها ام كذلك. وأنا لا املك إلا الاحترام للورا ويفير.» وبدا لجاستين وكأن صوت غريسيا قد تلاشى وكأن ظلمة الليل قد اطبقت عليه.

لورا أم؟ ولكن لماذا لم تذكر ذلك عندما تقابلا عصر هذا اليوم؟ لقد اذهله عدم ذكرها ذلك، كما أن هذا لا يتلاءم مع رغبتها بعدم نبش الماضي. وشعر بالغضب. كان من الحماقة طبعاً ان يظن ان لورا لم تتزوج من بعده، ولكن نعم... فقد كان الأمل في هذا الأمر نفسه يكمن في اعماقه.

كان لديه بعض الأمل في أن حياة لورا قد توقفت منذ يوم تركه لهذا البلد، وان قابليتها للحب والضحك والعيش قد اصبحت محدودة بشكل قاس كما حدث له تماماً.

وشعر لهذا الغدر بالغثيان.

وبعد، ربما لم تكن بنيته الاحتفاظ بمنزل عمه هنا، ولكنه يدرك الحقيقة الآن. يدرك ان سبب وجوده هنا ليس له علاقة بمنزل عمه. لقد جاء إلى هنا ليحارب الأفكار السوداء التي تتملكه ويتخلص منها... هذا اذا اضطر لذلك أو اذا وجد تلك الافكار، ولكنه لم يجد افكاراً سوداء، فالذي وجده كان يضج بالحياة.

الفصل الثالث

«لورا. لقد تلقيت عرضاً لتوي لشراء لوحتك الثلج والنار. ستكونين مجنونة ان لم تقبلي.»

اسندت الهاتف إلى كتفها وهي تخرج الكعك من الفرن وتذر عليه القرفة، ثم ردت قائلة: «إنني لن أبيعها.»

«لورا، اسمعي.»

واتسعت عينا لورا وهي تسمع رقم المبلغ المعروض ثمناً للوحتها.

كان الأمر في منتهى السخافة، بالطبع. فاللوحة لم تكن تستحق ذلك. ليس بالنسبة لأي انسان ما عداها هي.

قالت لورا: «لقد توسلت إلي لتعليقها، لقد قلت لك منذ البداية انها ليست للبيع.»

«لا بأس. لا بأس. آوه... ها قد خرج الزبون الآن ومنظر وجهه كالرعد.»

وبعد ذلك بدقيقتين، سمعت لورا صوت بابها الأمامي يفتح.

فصاحت تقول: «سأكون عندك بعد لحظة.» كانت تعلم من هو القادم، ولهذا لم يكن في نيتها أن تكون عنده بعد لحظة، إن جاستين يمكنه الانتظار.

ولكن جاستين لم يكن قط ذلك الشخص الذي يحب الانتظار. وقد أدركت هي ذلك بعد فوات الأوان وبعد أن تركته يذرع المكان جيئة وذهاباً لعشر دقائق.

ذلك أنها رأته فجأة خلفها في المطبخ ينظر من فوق كتفها إلى الكعك المنثور فوقه القرفة. وغمرها شعور طاغ بوجوده، وامتلأ كيانها برائحته المألوفة. ألا يغير الرجال أبداً الرائحة التي يضعونها بعد الحلاقة؟ إنه ما زال تعبق منه رائحة الصنوبر.

قالت له: «غير مسموح للزبائن بالدخول إلى المطبخ.»

فقال: «هذا حسن.» وأخذ منها كيس خليط السكر والروائح، ونظر إلى الكعك مفكراً قبل أن يضع من الخليط على كعكة منه، ثم يقول: «هكذا أفضل.»

نظرت إلى الكومة غير المنتظمة التي أفرغها على الكعكة ثم قالت ثائرة: «أفضل؟» ومدت يدها تأخذ الكيس منه، ولكنه حول إليها جنبه وهو يضع الخليط على كعكة أخرى.

ثم قال: «بما أنني أصبحت الآن موظفاً عندك هنا، فهل بامكاني أن أحظى بعدة دقائق من وقتك الثمين يا حضرة رئيسة غرفة التجارة؟»

حاولت أن تنتزع من يده كيس خليط السكر، ولكنه أخذ يغيظها برفعه بيده إلى أعلى مما يمكن أن تصل إليه يدها. فعقدت ذراعيها فوق صدرها. وسألته: «ماذا تريد؟»

قال: «لوحتك المرسومة.»

قالت: «حسناً، أيها القادم من ستاندوفر. عليك أن تعلم أن هنالك أشياء لا تستطيع نقودك أن تشتريها.»

نظر إليها بغموض قائلاً: «ولكن اللوحة معلقة في المعرض. فما هي المشكلة؟»

أجابت: «المشكلة هي أنها ليست للبيع.»

سألها برقة: «أترى لها قيمة عاطفية عندك؟»

ولأول مرة تدرك ماذا يعني تمسكها الشديد بهذه اللوحة.

لقد كانت لوحة من نوع آخر. فهي تظهر الجمال غير المتحضر لينابيع آبل الحارة في فصل الشتاء، والبخار المتصاعد من المياه اللازوردية. لأول وهلة، كان هذا المنظر هو كل ما في اللوحة، ولكن لدى امعان النظر كان البخار يمثل ما يشبه ظلال... ربما ظلال شخصين.

وربما لا شيء من ذلك، كما كانت تحب أن تخبر الناس. ولكن، ها هنا يقف الشخص الوحيد في العالم الذي أدرك سر البخار المتصاعد من ينابيع آبل الساخنة.

سألها بلطف: «هل احمرار وجهك نابع عن الخجل؟»

أجابت: «كلا، بل أنا غاضبة. فقد أتلفت هذا الكعك.»

قال: «ليس ثمة من يكره كثرة السكر على الكعك. ثقي بكلامي من هذه الناحية. إنني أريد اللوحة.»

قالت وهي تفكر في أنها لن تثق به أبدا بعد ذلك: «لا يمكنك أن تحصل على كل ما تريد.»

قال: «لقد تعلمت ذلك منذ وقت طويل.»

جذبت نفساً عميقاً... لقد سبق واستولى على قلبها، فهل يريد الآن أن يستولي على اشيائها الخاصة أيضاً؟

كلا، لن تمكّنه من هذا.

سألها: «على كل حال، كيف بامكانك القيام بكل هذا؟ تديرين عملاً، وتديرين شؤون المدينة، وتقترعين على بيوت، وتديرين منزلك، ثم ترسمين في أوقات فراغك؟ أي امرأة أنت؟ المرأة المتفوقة؟»

أجابت: «نعم. وإذا أنت لم تتوقف عن إتلاف هذا الكعك، فسأقذف بك من النافذة.»

قال برقة: «هل ما زلت تغنين، يا لورا؟»

أجابت كانبة: «كلا.»

قال: «أذكر أن...»

قاطعته: «إنني أكره الجمل التي تبدأ بكلمة أذكر.»

قال: «آه، نعم، إنها حساسية لورا نحو الماضي. لماذا إذن ترفضين التخلي عن رسم يعبّر عن ذكريات الماضي بكل وضوح وحيوية؟»

قالت: «هذا إذن ما كانت تمثله لك تلك الفترة، اليس كذلك يا جاستين؟ مجرد مغامرة عابرة...»

قال بصوت كالفحيح: «أسكتي، كيف تجرؤين على افتراض ما كانت تعنيه لي تلك الأيام؟»

تملكها الاضطراب، وقالت بتحدٍ وقد سمرتها عيناه الغاضبتان: «حسناً. ما الذي كانت تعنيه لك، إذن؟»

ضاقت عيناه وتجمدت ملامح وجهه، ثم قال: «لا شيء.» وهذا ما كانت هي تظنه بالضبط. ولكن ما كان بينهما لم يكن لا شيء... ذلك أن كلمة لا شيء تعني الهدوء والأمان، ولكن ما كان بينهما هو نار مشتعلة في كليهما.

ابتعدت عنه قائلة: «إن من الخطر علينا، نحن الاثنين، أن نتحدث عن الماضي، ماضينا، ماضينا الطويل القصير. ذلك الانجذاب الذي كان بيننا والذي لم نستطع التحكم فيه، فاذا لم يكن لدينا شيء آخر، فبماذا سينتهي أمرنا بمجرد الحديث؟ دع الأمور بسلام، يا جاستين، فأنا لا أريد العودة معك في طريق الذكريات. لا أريد منك سوى أن تتركني وشأني، فإذا كان ذلك يستلزم أخذك اللوحة، فخذها، وأنا لا أريد نقودك. كل ما أريده هو أن تتركني وشأني. هذا هو الثمن.»

قال بصوت متوتر: «لا أظنني بحاجة ماسة إلى اللوحة.»

سألته: «أتريد أن تقول انك لن تتركني وشأني؟»

أجاب: «كلا يا لورا. إنني أقول ان الحق معك. فالأمر لا يستحق الملاحقة. احتفظي باللوحة، فليس فيها الكثير من المعاني، على كل حال. أليس كذلك؟»

واستدار خارجاً من المكان.

ولكن مشاعرها لم تهدأ، إن تأثيره عليها مازال هو نفسه. هذا ما كانت عليه أمها في عواطفها...

وهكذا أمضت لورا طفولتها وصباها، تابعة لأمها من مدينة إلى أخرى. وفي مطلع صباها، شعرت بميل إلى أحد أقارب أمها، ولكنها سرعان ما أدركت خطأها. إنها لن تحذو حذو أمها، فتذيق إبنتها لوسي الشقاء الذي سبق وعانته هي.

كانت هذه الجولة في البراري بمثابة مهدىء لأعصابه. لم يحدث أن أغضبته امرأة أخرى بهذا الشكل. وهز رأسه بابتسامة أسى وهو يتذكر كيف كانا يتشاجران، هو ولورا.

كان قد نشأ في هذه المدينة، وكانت هي قد وصلت إلى آخر مرحلة من سنة دراستها الجامعية. واستأجرت بيتاً بجوار منزل والديه، وكان هو يعمل، في ذلك الحين، ولكنه مازال يتردد على بيت والديه لغسل ثيابه وتناول بعض الطعام الجيد، كلما استطاع ذلك. ولم يكن والداه راضيين عن تصرفات أمها، وكانا يعتقدان للابنة بمصير مماثل تعس.

ورغم هذا، فقد فتنته لورا منذ البداية، ولكن محاولاته للتعرف إليها قوبلت منها بالصد. وكانا يتناوشان بالكلام

الجارح كلما مر الواحد منهما بالآخر في المدينة، أو عبر السياج. ولكن في الأعماق استحالت تلك المناوشات إلى احترام متزايد، وتعاطف روحاني.

لقد كفا عن الشجار منذ ربط الحب بينهما... فقد وجدت تلك الطاقة، فجأة، مكاناً آخر تجد فيه منفساً.

لقد نما حبهما هنا، عند الينابيع، ومضت عليه بعد ذلك، شهور لم تمر عليه مثلها في حياته.

فكر في أن الحق معها، فما فائدة العودة إلى تلك الذكريات مرة بعد أخرى؟ لقد تركته لأجل رجل آخر، متبعة في ذلك خطوات أمها، تماماً كما كان يعتقد بذلك والده.

كان جو فيرست، لا يعدو أن يكون أفضل صديق لديها، كما كانت لورا تقول له دوماً، ضاحكة من غيرته. ولقد حاول جهده أن يصدقها، متجاهلاً تعليقات أمه واستهجانها لفتاة تتخذ رجلاً صديقاً لها.

لقد أحبته، ولكنها تركته لأجل رجل آخر. وكانت هذه قصة شائعة كثيراً، ما عدا نهايتها. إذ كان عليه أن ينساها بسرعة، فقد كانا، هما الاثنين، صغيرين، وكان على الفراغ الذي تركته في قلبه أن يمتلىء في النهاية.

لقد أمضى مدة طويلة يظن أن استغراقه في العمل سيملأ حياته، وسيملأ ذلك الفراغ في قلبه. لقد أفرغ كل طاقاته، في بناء عمله. إنما الآن، ونجاح شركته لحن البراري يفوق كل تصوراته، أدرك أنه إنما كان يستغفل نفسه... فقد كان الفراغ في حياته وقلبه لا يلزمه سوى فترة قصيرة يتوقف فيها عن العمل ليسترجع أنفاسه، وذلك لكي يدرك أنه، ذلك الفراغ، ما زال هناك، وأكبر مما كان على الاطلاق.

لقد كانت لورا حبه الأول، ولقد قتلت شيئاً في داخله. فهو لم يعد يستطيع التفكير في امرأة بنفس الطريقة التي كان يفكر فيها، كان الأمر وكأنه كان ينتمي إليها وحدها.

وهي لم تطلق أسره... لقد احتقرته، خانته، عاشت كما تشاء، ولكنها لم تطلق أسره قط، أترى كان هذا هو السبب في عودته إلى آبل؟ هل مازال نغمها المتوحش مسيطراً على كيانه؟ فهو يريد التحرر منه.

لقد شم رائحة الكبريت قبل أن يصل إلى الينابيع الحارة. فقد كانت نزهته طويلة والليل قد أقبل. ثم إذا به يسمعه، وتسري الرعشة في كيانه، كان ذلك النغم يعلو مع البخار.

وتقدم نحو البحيرة اللازوردية والتي كانت مختبئة بين الصخور. كانت لورا هناك والمياه تغمر رجليها، وكانت تغني... تلك الأغنية الخالية من الكلمات بما فيها من ألم، وفرح، وحزن.

توقفت الأغنية حالما أحست بوجوده دون أن يتلفظ بكلمة. وأدارت رأسها ببطء ونظرت إليه... كانت عيناها كسيرتين رقيقتين ليس فيهما أثر لذلك الحذر والعداء الذي عهدهما فيهما مؤخراً.

أتراه حلماً؟

قالت برقة، كعادتها القديمة تقريباً: «جاستين.» ولكن العنف ما لبث أن امتزج بنظراتها وصوتها وهي تتابع قائلة: «سأنتهي بعد دقيقة، وبعد ذلك تستطيع الانفراد بالمكان لنفسك.»

قال: «لا أريد أن انفرد بالمكان لنفسي.»

قالت بذعر: «لا تفعل هذا يا جاستين.»

قال: «لا أفعل ماذا؟»

قالت: «دعني أخرج أولاً.»

قال: «لا أحد يمنعك من الخروج.»

حاولت الخروج من الماء، وقد ارتجفت للذكرى. إنها تريد أن تتغلب على مشاعرها، وتهرب منه.

إنه رجل لا يعرف الاستقرار، فهل هي حقاً تريد أن تعاود تجربة كل ما مر بها من تعاسة؟

كان تنفسه عميقاً منتظماً وهو يرقد على ظهره، إلى جانب البحيرة، مستسلماً إلى الرقاد، ومضت وهي تتمعن في ملامحه وقد تملكها الحزن والندم.

لقد قالت لها غريسيا منذ أيام: «إنك لست مثل أمك.»

ولكنها كانت كذلك، فقد كانت ترى كيف كانت العواطف تسيِّر حياة أمها، وكانت تشعر بالارتباك وعدم الفهم، لم تكن تفهم كيف أن شخصاً لا يستطيع أن يتحكم في عواطفه.

وما لبثت أن نبذت كل هذه الأفكار من ذهنها بعنف. فقد جاهدت طويلاً لكي توفر لابنتها الاستقرار الذي افتقدته هي في طفولتها. وهي لن تفسد كل ذلك الآن.

تأملته وتنهدت بألم، ثم استدارت لتختفي في الضباب.

وعندما فتح عينيه، وجد نفسه وحيداً.

لماذا تركته دون حتى كلمة وداع؟

وشعر بالضعف وهو يتذكر كيف تغلبت عليه العاطفة نحوها لتطغى على كل تفكير عقلاني لديه.

لقد عاد إلى هذه المدينة وهو يظن أنه إذا تمكن من نفيها من ذهنه، فبامكانه أن يتحرر ليسير في حياته، بعد ذلك، كما يشاء.

ليجد، بدلا من ذلك، أن تلك الفاتنة قد دمغت نفسها على قلبه.

مكث عند البحيرة بقية الليلة، ثم عاد إلى المدينة في الصباح، وعند العصر كان يقف عند باب محلها.

كان المكان مزدحماً، وابتسمت له بشرود وعرضت عليه فنجان قهوة.

قال بلطف: «إياك والادعاء بأنني لا أعني لك شيئاً، يا لورا.»

أجابت بنفس لهجته: «وإياك والادعاء بأنك قد تغير شيئاً.»

وقف، واستدار على عقبيه خارجاً من المحل، وقرر عدم العودة أبداً إلى تلك القذرة عديمة الشعور. لماذا عاد إلى هذا المكان الفظيع؟

قال جاستين للمرأة التي أحضرت له الفطور: «لماذا يبدو هذا البيض غير طبيعي؟»

قالت: «إنه مسخن في الفرن.»

قال: «آه، هذا هو السبب.» كان اعداد الفطور في فندق آبل قد أثبت أنه من المناعة ضد التحسن مثل بقية الأثاث.

وغطى جاستين فطوره الذي لم يأكله، تاركاً ثمنه، ثم نزل إلى الشارع.

تنفس بعمق ومعدته تعاني من الجوع. واشتم أنفه رائحة قهوة جيدة وخبز طازج، فعلم بالضبط من أين تأتي هذه الرائحة.

إنها من المكان الذي لا يحبون استعمال افران التسخين فيه، ولا الكلام عن الماضي.

نظر في ساعته. كان قد مضى ثمان وثلاثين ساعة، ست

عشرة منها أمضاها نائماً، أو محاولاً النوم، والبقية أمضاها في العمل كالعبيد في منزل عمه، محاولاً أن يطرد لورا من ذهنه، ولكن، عبثاً.

اشتعل في نفسه الغضب، ولكنه ما لبث أن خمد. لم يفت الأوان بعد على القيام بما كان ينوي عمله قبل كل شيء... والذي خطط له قبل تركه ستاندوفر. إنه سيذهب ليقول لها وداعاً، ويسلمها مفاتيح منزل عمه، ومن ثم يرحل عن هذه المدينة وكأنها لم تكن تعني له شيئاً.

عبر الشارع رافع الرأس، ثم دخل، وسرعان ما شعر بطعنة من خيبة الأمل، ذكرته بتلك التي سبق وشعر بها يوم وصوله ودخوله لأول مرة من هذا الباب.

لم تكن لورا هي المرأة التي كانت تضع الأزهار على الموائد، واستدارت إليه باسمة وهي تقول: «إن القهوة غير جاهزة تماماً تفضل بالجلوس.» ثم استقامت وقد بهتت ابتسامتها وهي تقول: «جاستين...»

ورأى في عينيها نظرة خوف.

وقطب حاجبيه قليلاً، إنه ليس سوى إبن هذه المدينة يعود إلى موطنه، وليس مجرماً هارباً.

قال وقد عرف فيها زميلته في أيام الدراسة: «مرحباً يا غليندا؟ كيف حالك؟» ولم يكن واثقاً من أنه كان سيتذكرها لو لم تكن لورا قد سبق وذكرت له أن غليندا في آبل.

فكر في أنه ربما كان مخطئاً بالنسبة لنظرة الخوف هذه، فسكان الجبال متشككون عادة، لا يألفون الغرباء. وعلى كل حال، فانه لا يذكر أن غليندا كانت تكن له أية مودة، رغم أنها تغلبت على نفورها منه لترافقه إلى ستاندوفر يوم رحيله.

سألته: «ما الذي تفعله هنا؟»

أجاب ببساطة: «أتناول قطعة من الفطيرة.»

عادت تسأله: «هل تعلم لورا بعودتك إلى موطنك؟»

موطنك؟ إذن فهم لا يعتبرونه غريباً على كل حال، وعاد يقطب جبينه. كانت غليندا تبدو شاحبة وعصبية، وكأنها تريد أن تندفع خارجة لتحذر لورا بأنه هنا.

قال ببرود: «لقد تقابلنا مصادفة.» كان لا يريد أن تعلم من صوته أي نوع من المصادفة حدثت بينهما.

«أوه، إن عندنا الآن فطائر التوت البري وكعك القرفة.»

كان يبدو واضحاً أن غليندا لا تريد حتى أن تسأله عن حاله، وما الذي قام به أثناء السنوات الست الماضية. وطلب منها فطيرة التوت البري، ورآها تهرول نحو المطبخ وكأنها مسرورة للابتعاد عنه.

عندما وضعت أمامه الفطيرة والقهوة، بعد ذلك بدقائق لاحظ أن يديها كانتا ترتجفان.

سألها: «هل أنت بخير؟»

نظرت إليه وكأنه كان يتكلم بلغة غريبة، ثم أجابت: «نعم.» ثم هرولت مبتعدة مرة أخرى باتجاه المطبخ، فنظر في أثرها ثم هز كتفيه دون اكتراث. لقد تذكر الآن ان غليندا كانت دوماً على شيء من غرابة الأطوار، فقد كانت عصبية حساسة ومنعزلة. وكان من الصعب أن يفهمها المرء.

قضم فطيرته، وأغمض عينيه شاعراً بلذتها. عند ذلك ارتفعت صرخة شقت الجو، صرخة طفل وقع في ضيق. فوقف بسرعة انقلبت معها كرسيه، وركض نحو الباب ومنه إلى الشارع.

كان الصوت الحاد يصرخ قائلاً: «هذه المرأة ليست أمي، هذه المرأة ليست امي.»

ولكنه لم ير أحداً، فركض نحو المنعطف ليرى في شارع جانبي امرأة وطفلة تتصارعان. كانت الطفلة بين ذراعي المرأة ولكنها كانت تناضل بوحشية.

«هذه المرأة ليست أمي.»

أما المرأة فكانت لورا.

وهرع جاستين نحوهما ثم مد يديه يسحب الطفلة المناضلة من بين ذراعي لورا، ولم يكن واثقاً ما اذا كان يخلص بذلك، لورا أم الطفلة. ورأى وجه الطفلة، وكانت هي نفسها صديقته الصغيرة في ذلك اليوم... جاكي.

وقفت لورا تحدق فيه وهي تتنفس بعنف.

ودون أن ترى الطفلة منقذها، دفنت وجهها في كتفه وهي تشهق بقلب كسير.

نظر إلى وجه لورا الذي بدا بارداً وشارداً، وأدرك أن هذا التدخل منه لم يعجبها.

قال لها رافعاً حاجبه: «أهي عملية خطف؟»

قالت له لورا: «هذا ما أرادتك أن تعتقد به. إننا في بطريقنا إلى دار الحضانة. هل من الممكن أن تحملها معي؟»

أجاب: «بالتأكيد.»

هتفت جاكي منتحبة: «كلا...»

قال لها: «إذا رأيتك تضربين لورا مرة أخرى، فانني سأضربك على قفاك.»

قالت: «ليس مسموحاً لك القيام بذلك.»

ابتسم قائلاً: «ارفعي عليّ دعوى إذن.» ولكن ابتسامته

بدت مغتصبة، ذلك أن هذه الصغيرة قد جعلته يظن أنها في ضيق حقيقي، ولو كانت بين ذراعي أي شخص عدا لورا، لظن أنها مخطوفة حقاً.

ونظر إلى لورا طالباً ايضاحاً، ولكن وجهها الجميل بقي جامداً.

وقفت لورا عند بوابة خضراء، ثم مدت ذراعيها إليه قائلة: «شكراً يا جاستين.»

سلمها الطفلة، وهو يقول: «سأنتظرك.»

قالت: «كلا، لا تفعل.»

قال يطمئنها: «لن أسبب لك أي مشكلة.»

حملقت فيه، فابتسم لها.

بدا أن شيئاً قد أظلم في عينيها، ولكنها لم ترد ابتسامته، ورفعت رأسها بكبرياء وهي تمضي في طريقها بحركة بدت له غاية في الجمال.

أخذ ينظر اليها وهي توقف الطفلة على قدميها، ثم تقودها من يدها من خلال البوابة إلى باب منزل صغير أنيق، حيث سلمت الطفلة إلى نفس المرأة الشابة الحامل التي كان سبق ورآها معها في البداية.

وفكر في مبلغ طيبة لورا إذ تأخذ هذه الطفلة من أمها لتريحها قليلاً. ولكن أين هي طفلة لورا؟ هل بإمكانه إلقاء هذا السؤال عليها قبل أن تخبره هي بنفسها بأن لديها طفلة؟ وهل هو نفسه يريد ذلك؟ أليس من الأفضل أن يقول لها وداعاً، هكذا بكل بساطة، ثم يرحل؟

وعندما عادت لورا اليه، قالت له بصوت جامد: «أشكرك لمعونتك.»

www.elromancia.com

فقال: «يبدو أنها طفلة صعبة المراس. لا بأس، إنني لا أحسد أمها عليها.»

فألقت عليه لورا نظرة غريبة لم يفهمها.

وإذا بالطفلة قد أصبحت بينهما وهي تقول: «مع السلامة يا مامي، لقد نسيت أن أعطيك قبلة.»

ردد جاستين متبلداً: «مامي؟ ولكنها كانت تصرخ بأنك لست...» واختنق صوته عندما رفعت لورا الطفلة. وإذ تلاقى الرأسان الأسودا الشعر، لم يعد ثمة شك في أن لورا كانت أم جاكي. لماذا لم يلحظ ذلك من قبل؟ منذ اللحظة الأولى التي رأى فيها الطفلة؟ ولكنه أدرك أن السبب هو لون عيني الطفلة وذلك عندما أدارتهما اليه، فقد كانت أشبه بطفلة اسبانية بملامحها الغريبة وعينيها البراقتين.

قالت له الطفلة: «ثم انني نسيت أن أخبرك شيئاً. ان اسمي ليس جاكي.»

ورأى بطرف عينه لورا وقد جمدت في مكانها، فسأل الطفلة: «ما اسمك إذن؟»

قالت: «ليس مسموحاً لي بأن أذكر اسمي للغرباء.» ثم انطلقت بعيداً.

ضحك ثم استدار نحو لورا يسألها: «ما اسم ابنتك؟»

أجابت بهدوء: «لوسي.»

وشعر جاستين بالأرض تحيد تحت قدميه. عيناها... عمرها... اسمها.

ها قد عرف بالأمر.

الفصل الرابع

«لماذا لم تخبريني؟»

بدا الجو مشبعاً بالخطر، وهذا الخطر كان صادراً عن جاستين.

بدا غاضباً، غاضباً جداً، وخطراً كذلك. واظلمت عيناه بشكل يفوق الوصف. وتقبضت يداه إلى جانبيه بشدة. لم يكن هذا الرجل الاسمر الغريب هو نفسه ذلك الزوج الذي كان يركض معها، ويضحكان معاً بقلب خالٍ من الهموم.

ولكنها، حينذاك، لم تكن تعرف جاستين، فهو لم يكن كما كانت تظنه، كما انها لا تعرفه الآن.

قالت: «عندما علمت بالأمر، كان الطلاق قد حصل، وبعدها رحلت أنت. وسمعت بانك سافرت إلى الشرق الأقصى.» ولم تستطع اخفاء ألم الذكرى من وجهها الا بجهد بالغ. انه لم يرحل فقط، ولكنه رحل بعيداً، بعيداً إلى حد جعلها تعلم أنه لن يعود، وان ذلك الانبهار الذي كانا تحت تأثيره، لم يكن سوى انبهارها وحدها. تلك كانت اياماً مظلمة مغمورة بالألم والمذلة.

قال: «ولكن والديّ كانا جيرانك.» كانت تدرك ان والديّ جاستين لم يكونا راضيين عنها، ولكنها قالت: «لقد احترق بيتهما بعد فترة قليلة من تاكدي من الأمر، فتركا المنزل.»

مال نحوها فجأة وعيناه في عينيها وهو يقول: «كان بامكانك ان تعثري عليّ لو انك شئت ذلك.»

اعترفت قائلة وقد بدا عليها التوتر والكبرياء: «نعم. كان بامكاني ذلك.»

قال غير مصدق ولهجته تنضح بالاتهام: «وانت لم تريدي ذلك.»

أجابت: «كلا، لم أرغب بذلك.» لقد ساورها الشك في أنه سيعود من أقصى الأرض لكي يرى طفلته، أما الذي لم تفهمه فهو ما الذي ابعده، إلى اقصى الأرض، اثناء تلك الأيام الرائعة المفعمة بالحب؟ انه لم يكن على قدر كاف من النضج، كما ادركت من ذلك عبر السنوات الماضية. فإذا لم يكن من النضج بحيث يتحمل مسؤولية حبه لها، فما الذي يستطيع تقديمه لابنتهما إذن؟

قال بقسوة معذب: «لماذا؟»

قالت بقسوة هادئة: «لم اكن اظنك تصلح لتكون أباً.»

قال: «ايتها السافلة.» وحملت كلماته من الكراهية ما احست معه بأنه يصفعها. لقد رحل منذ زمن طويل، وكان عليها ان تتعود على حقيقة انه لم يكن يحبها، وإلا لما طلقها. ولم تكن تظن ان هنالك ألم أسوأ مما شعرت به أثناء ذلك. ولكنها كانت مخطئة، ذلك ان شعورها بأنه يكرهها قد آلمها اكثر. ولكن كرامتها ابت عليها ان تجعله يعلم ان شعوره يؤثر عليها بأي شكل.

قالت: «لقد قمت بما رأيته الأفضل للوسي ولي انا.»

«رأيت أن من الأفضل لها ان لا تعرف أباها ابداً؟»

قالت: «نعم.»

سألها: «وكيف يكون هذا هو الأفضل بالنسبة لأي طفل؟»

قالت: «كونك سبب وجودها كأب، فهذا لا يعني انك صالح اجتماعياً لكي تكون أباً.»

اصطبغ عنقه بالدم وصعد إلى وجنتيه. ورأته ينظر إلى عنقها وكأنه يريد ان يخنقها بيديه، ربما تجاوزت الحد معه. ولكنها لم تكن تملك سوى خبرتها في الحياة تسير على ضوئها، وهذا ما جعلها بالغة الحرص والحذر. لقد كانت لورا تعرف أباها، ولكن ذلك لم يكن يثير فيها أي شعور بالبهجة، فقد هجرها وأمها منذ كانت في الخامسة، فأمضت حياتها تتوق إلى حبه وعطفه. وكان احياناً يرسل إليها بطاقة في ذكرى مولدها، ولكن ليس دائماً. وربما لا يدهش أي طبيب نفساني إذا هو علم أن أول ميل لقلبها كان إلى رجل كانت تعلم أنه سيهجرها يوماً ما.

قال بتوتر: «لقد كنت مخطئة يا لورا. فقد كان بامكاني ان اكون والداً رائعاً. انني سأكون والداً رائعاً.»

سألته: «ما معنى هذا؟» ولكن التصميم الذي بدا على وجهه ملأها ذعراً.

أجاب: «معناه انك لن تستطيعي منعي من رؤية ابنتي الآن. ان لي الحق في ان اعرف لوسي واكون أباها.»

ثم يتركها بعد مرور بعض الوقت، عندما يصبح كل ذلك عادياً يجلب الضجر. فكرت لورا بذلك، فكرت بكل تلك السنوات التي كانت تحاذر من ان تصبح مثل أمها، متجنبة كل انواع العلاقات لأنها تريد ان تحافظ على لوسي.

فهل كل تلك الوحدة التي عانتها، ستكون نتيجتها صفراً؟

ولا بد ان بعضاً من غضبها ومرارتها بدا على وجهها لأنه قال بعنف: «لا تحاولي ان تمنعيني.»

نظرت إليه بعنف هي أيضاً. ولكنها كانت قد اصبحت واقعية، فكيف بامكانها ان تمنعه؟ فهي تعلم ان له حقاً

قانونياً بأن يمضي وقتاً مع ابنته. كما كانت متأكدة من انه لن يتردد في ان يجعل من الأمر معركة قانونية لو اضطره الأمر.

قالت: «انني لن احاول منعك، ولكن لي شرطاً لذلك.»

نظر اليها منتظراً فقالت: «ارجوك ان لا تخبرها عن نفسك. ليس الآن.»

قال: «ولما لا؟»

قالت بحزم: «انني فقط اظن ان هذا افضل.»

قال ببرود: «انني لا اعرف الكثير عن صحة حكمك. ولكن ثقي بأن لدي شيئاً من التعقل، فأنا سأخبرها عندما اشعر بأن الوقت مناسب لذلك.»

ولما رأت من ملامحه ان هذا افضل ما بامكانها الحصول عليه، تنفست بعمق، وسألت: «متى تحب أن تراها؟»

أجاب: «الليلة، يمكنك ان تدعيني لتناول العشاء.»

قالت: «لن افعل ذلك.»

قال: «يبدو لي ان هذا افضل بالنسبة إلى لوسي، فهي لن تشعر بأنها سلمت لعناية احد أولئك الغرباء الذين تعلمت أن تكون على حذر منهم.»

لم تستطع انكار المنطق في كلامه هذا. لم تكن تريد جاستين في بيتها، وعلى مائدتها، ولكن كان عليها أن تفكر في ما هو افضل بالنسبة لابنتها، وقد سبق هو وقام بذلك مما ادهشها، فهي لم تكن تتوقع منه هذا القدر من قوة الملاحظة.

سألها وكأن الأمر قد استقر: «ما هو عنوانك؟» ربما الأمر استقر فعلاً، لقد كانت قامت بكل ما تملك من حيلة، في سبيل

ان تسيطر على مصير ابنتها. وربما في هذا درس لها، وهو ان ليس في مقدرتها ان تسيطر على كل شيء...

سألها بعدما اعطته العنوان: «ماذا عن الوقت؟»

فأجابت: «اننا نتناول العشاء باكراً، حوالي الخامسة والنصف، لا تتوقع شيئاً خاصاً في هذه الدعوة.»

نظر إليها مطولاً بعنف، وهو يردد: «لا اتوقع شيئاً خاصاً؟ لورا، أي شيء اكثر خصوصية من تناولي أول وجبة لي مع ابنتي؟»

قالت له لورا ان لا يتوقع أي شيء خاص، ولكن بيتها نفسه كان شيئاً خاصاً، فقد كان صغيراً بالغ الأناقة والذوق.

قرع الباب، ففتحته لورا، ولاحظ انها غيرت ثيابها فارتدت بنطال جينز أزرق فضفاضاً. وحاول أن يخفي ما شعر به من خيبة أمل باقناع نفسه بأنه لم يأت إلى هنا، على كل حال، لرؤية لورا.

وذكّر نفسه بأنه غاضب جداً من لورا. أو أنه كان غاضباً، لأن بعض غضبه ذاك كان قد تلاشى، وتلاشى الآن اكثر عندما رأى مبلغ ما يبدو عليها من إرهاق، وانشغال بال.

وقفت بعيداً عن الباب، دون أن تتفوه بكلمة، تدعوه إلى الدخول، وكان المنزل في الداخل يمثل شخصية لورا تماماً. الدانتيلا، التحف، البسط المصنوعة باليد، بعض لوحاتها التي تضج بالألوان والأحاسيس، معلقة على الجدران. كان مكاناً دافئاً مريحاً... كان فيه جو البيت.

شعر بحنين غريب. كانت شقته في ستاندوفر فخمة رائعة الأثاث، ولكنه عندما كان يفتح بابها، لم يكن يشعر قط بمثل ما يشعر به هنا، بأنه عائد إلى البيت.

www.elromancia.com

وفي لحظة خبل، سمح لنفسه بالتوهم بأنه عائد إلى بيته عند لورا. وانها ستأتي نحوه وعلى وجهها دفء الترحيب، ولكن ترحيب لورا به كان كمثل ترحيب الدب القطبي وهو ينظر إلى صيادين يعبرون الثلوج القطبية. فلو ان مجيئه لم يكن لأجل ابنته، لكان الآن قد اصبح في ستاندوفر.

اتجهت به إلى المطبخ حيث كانت لوسي منكبة على الرسم. وكانت ترتدي مريلة زرقاء وقميصاً كحلي اللون. وعندما دخل، رفعت عينيها تنظر إليه برصانة، وسرعان ما غمرت نفسه المشاعر. انها ابنته وهي رائعة الجمال.

قال لها بصوت ملأته الرقة: «مرحباً.»

أجابت بدون اهتمام: «مرحباً.» ثم عادت إلى الرسم.

اقترب منها، واطل من فوق كتفها، وكانت الوان الرسم مؤلفة من بقع وخطوط حمراء، وسألها: «ما هذا؟»

ألقت عليه نظرة حافلة بالازدراء وهي تقول: «انه غول يأكل غولاً آخر. ألا ترى الدم؟»

قال مسلّماً: «آه، نعم.» وجلس على كرسي بجانبها فتجاهلته، وكذلك أمها التي كان شعرها مسدلاً إلى منتصف ظهرها.

وجالت عيناه في انحاء المطبخ، كان كل شيء نظيفاً مشرقاً، وشعر بنفسه دخيلاً على هذا المكان.

قالت الأم: «لوسي، اذهبي واغسلي يديك للعشاء.» وعندما ذهبت لوسي، سأل لورا: «هل ستتجاهلينني؟»

أجابت: «نعم.»

حملق فيها، ولكنها كانت قد ادارت له ظهرها. فتساءل عابساً، هل هذه هي المرأة؟ لقد اقترفت جريمة كتم أمر وجود ابنته عنه، وها هي ذي تعامله وكأنه هو المحتال.

حتى انها نجحت تقريباً في جعله يشعر بأنه كذلك حقاً. وعادت لوسي.

قالت لورا: «حين قلت ان ليس ثمة شيء خاص، فقد كنت اعني ما اقول.» فأخذ يحدق في طبق المعكرونة بالجبن الذي وضعته امامه، ثم وضع في فمه شيئاً منه دون حماس، بينما دست لوسي قبضة منه في فمها وهي تنظر إليه بعينيها الماكرتين قائلة: «ان هذا عشائي المفضل.» وبدا عليها الآن انها ستمنحه انتباهها الكامل بعد ان انهت رسم موضوعها المفضل عن الغول. وتابعت حديثها فسألته: «هل ستصبح رفيق مامي؟»

صعق ووقفت قطعة من المعكرونة في حلقه، ورأى ظهر لورا يتقلص بينما كانت تتظاهر بالانشغال عند منضدة المطبخ. انه لم يشعر قط من قبل بمثل ذلك الغضب الذي يصل إلى حد الاجرام، والذي شعر به اليوم نحو لورا.

أجابها بحقد: «انني غير متأكد. وماذا يحدث لو اصبحت رفيق مامي؟»

أجابت: «انا لست واثقة بالضبط.» وضغطت على كلمة بالضبط وهي تتابع قائلة: «ان غريسيا تقول ان مامي بحاجة إلى رفيق، فهل انت رفيق؟

فأجاب بجفاء وعينه على ظهر لورا المتصلب: «لقد كنته في المدة الأخيرة. ماذا على رفيق مامي ان يفعل؟»

أجابت: «انني غير واثقة بالضبط. انني لا اظن مامي كان لها رفيق من قبل، هل كان عندك يا مامي؟»

نظرت لورا من فوق كتفها وقد احمر وجهها، ثم قالت بصوت متوتر: «ليس مؤخراً.»

قال جاستين باهتمام: «هل هذا صحيح؟» لقد كان يظن أن لورا لا بد ان عندها رفاقاً كثر.

أجابت لوسي: «هذا صحيح تماماً. اظن ان على الرفيق ان يزورنا. فهذا ما قالته غريسيا، قالت ان مامي بحاجة إلى رفيق يزورها.» وسقطت المعكرونة من شوكتها على الأرض، بينما كانت تسأله: «هل تعرف ماذا يعني ذلك؟»

أجاب: «ليس بالضبط.»

قالت بابتسامة عريضة: «انني احب هذه الكلمة كثيراً.» ومالت إلى الأمام واضعة مرفقها في طبق عشائها، وهي تتابع قائلة: «اتظن هذه الكلمة تصلح ان تكون اسماً حسناً لقطيطة؟»

أجاب: «بالضبط، اظنه سيكون اسماً مبتكراً جداً لقطيطة.»

ابتسمت له لوسي، بينما وضعت لورا امامه صحن سلطة بعنف، ثم وضعت سلة من الكعك البيتي في وسط المائدة، وبالرغم من أنه كان يبذل جهداً لا بأس به في الاحتفاظ بمظهر العداء بينه وبينها، إلا أنه لم يملك ان نظر إليها شاكراً وهو يرى الكعك، ثم يزيح طبق المعكرونة جانباً.

وجلست لورا وقد بدت عليها الرصانة والشرود، ثم تناولت لقمة صغيرة من سلطتها.

سألتها لوسي: «مامي، ما معنى ان يأتي رفيق للزيارة؟»

أجابت الأم: «معناه ان تهتم غريسيا بشؤونها الخاصة. هيا، اشربي الحليب.»

سألته لوسي: «لا بد ان لذلك علاقة بالحب، اليس كذلك؟»

أجاب: «هذا ممكن.» وبدت لورا منهمكة في امعان النظر في سلطتها وكأن اسرار العالم كله كامنة بين اوراق الخضرة

تلك، بينما توهجت وجنتاها بشكل جميل، ووجد هو نفسه مستمتعاً بالنظر إلى ما يبدو من ضيقها ذاك.

عادت لوسي تقول: «ان أمي لا تحب هذا.»

انتهرتها أمها قائلة: «لوسي!»

ولكن لوسي ابتسمت له وهي تتابع قولها، متجاهلة أمها: «انها دوماً تقفل التلفزيون عندما يعرض فيلم حب على الشاشة.»

قال جاستين وهو ينظر إلى وجه لورا باهتمام وحيرة: «هل هذا صحيح؟»

وعادت لوسي تسأله بإلحاح بريء: «هل أنت إذن رفيق مامي؟»

أجاب: «كلا، ولكنني كنت كذلك منذ وقت طويل.»

حملقت فيه قائلة: «هل كنت حقاً؟»

نهضت لورا فجأة، واتجهت إلى سلة القمامة تفرغ فيها طبق سلطتها الذي لم تكد تمسه، ثم فتحت صنبور الماء على الحوض.

أجاب هو: «نعم. لقد كنت.»

سألته باهتمام: «إذن، فأنت تعلم ما يفعله الرفيق؟»

قال باسماً: «اظن انني اعلم.»

عادت تسأله: «ماذا يفعل؟ هل كنت تحب مامي؟»

أجاب مستمتعاً بمضايقة لورا: «نعم كنت افعل ذلك.»

انتهرتها أمها قائلة: «كفى حديثاً عن الرفاق يا لوسي.»

وحملقت في جاستين قائلة: «كان عليك أن تكون اكثر حكمة.»

قال: «انا؟ ولكنني لا اقفل التلفزيون ابداً عند موضوع كهذا.»

ألقت عليه نظرة ألم طويلة، قبل أن تعود فتتحول نحو

حوض الغسيل. وشعر نحوها بالشماتة لما عانته من آلام، لقد كان ذلك من صنعها.

عادت لوسي تسأله: «ولماذا لا تعود رفيقها مرة أخرى؟»

أجاب ليمنح لورا شعوراً بالارتياح لا تستحقه: «اظن الحق مع مامي. يكفي الحديث هذه الليلة عن الرفاق.»

سألته: «هل كنت تشعر بالسرور حينها؟»

أجاب: «قلت ان هذا يكفي.»

أخذت لوسي تصرخ: «سرور... سرور... سرور...»

نظر إلى لورا بعنف، وكانت هي تنظر إليهما من فوق كتفها. ورأى ان دورها قد حان لكي تستمتع بانزعاجه.

قال بعنف: «لوسي، يكفي حديثاً عن الرفاق، أو الحب.»

لم يكن يعرف الكثير عن الأطفال، ولكنه كان يعرف جيداً أنه لم يكن يحب أن يتحداه احد، ولم يعرف ماذا يفعل بالنسبة إلى ذلك.

وبينما تابعت لوسي تمط بحروف كلمة السرور تغيظه بذلك، نظر إلى لورا، وابتسمت هذه له بعذوبة، ثم حملت سلة القمامة وخرجت بها نحو الباب الخلفي.

حملق في لوسي إلى ان شعر بالعرق ينضح من جسمه، فزمجر قائلاً: «كفى.» ووضع على وجهه ملامح الجمود يخيفها بها... ولكنها نظرت إليه بعين واحدة وهي تعود فتقول: «سر... ور.»

امرها بحدة قائلاً: «اجلسي.»

فأطالت وقوفها لحظة ما لبثت بعدها ان منحته ابتسامة مشرقة ثم عادت تجلس وتتناول قبضة من المعكرونة.

وعندما عادت لورا، رمقها باستياء، ولكنها بدت بصفاء حجر من رخام.

لقد قررت لوسي الكلام، ولم تتوقف. وبقي صوتها مستمراً دون توقف، وكان يحاول عبثاً، ان يلتقط كل كلمة كانت ابنته الغالية تتفوه بها.

ولحظ لورا، مرة وهي تنظر إليه بابتسامة خفيفة شامتة وكانها تقول له، انك تريد ان تكون بابا، إذن؟

تناولوا حلوى كانت عبارة عن فطيرة التوت البري مدموغة ببصمات يد قرمزية.

وكان يفكر بطريقة يهرب بها بلباقة، عندما جاءت لورا تضع على المائدة لوحة للعب، فسألتها لوسي بابتهاج: «هل ستلعبين معي الأرض الحلوة يا مامي؟»

قالت لورا ببراءة: «ربما يرغب جاستين في ان يشاركك اللعب قبل ان تذهبي إلى النوم.»

نظر إليها بارتياب. لماذا تبدو كقطة فرغت لتوها من ابتلاع طائر كناري؟

وسرعان ما وجد الجواب. لقد كانت لعبة الأرض الحلوة مملة بقدر ما كانت لوسي مستبدة. وعندما ربح، قالت له انها تتمنى لو التهم التمساح ساقيه.

بدا أن لورا اختفت من المكان. وتملكه الظن في انها تركته ليتصرف مع ابنته بنفسه.

واخيراً، نادت لورا بصوت ملحّن: «وقت النوم.» وكاد جاستين ان ينهار لشدة الارتياح.

سألته لوسي: «هل لك ان تقرأ لي قصة قبل النوم؟»

كان من السهل عليها أن تنسى انها كانت منذ لحظة تتمنى ان تصبح ساقاه طعاماً للتمساح.

قال: «طبعاً، إذا شاءت أمك.»

ركضت خارجة من الغرفة ليسود الغرفة بعدها سكون ذهبي رائع، وألقى برأسه على المائدة شاعراً بارهاق كلي.

وجاءه صوت لوسي: «تعال هنا.»

تبع الصوت. كانت في غرفة الجلوس مستكينة على أريكة، وقد ارتدت قميص نوم طويل احمر اللون، وربطت شعرها إلى الخلف بشريط. بدت وكأنها هادئة جداً، وابتسمت له وهي تربت على الأريكة بجانبها لكي يجلس.

وعندما جلس، ناولته كتاباً، ليقرأ لها فيه وتنهدت لوسي سعيدة وهي تلتصق به، وبدت حلوة مليئة بالطفولة، وملأه الدفء المنبعث عن التصاقها به، رقة وحناناً.

قالت له: «هذا كتابي الذي أحبه.»

قالت لوسي لأمها التي كانت تغطيها في سريرها وتطبع قبلة على خدها الوردي: «انني احب رفيقك كثيراً يا مامي.»

قالت الأم: «انه ليس رفيقي، يا حبيبتي.» هذا في الوقت الذي وصل فيه إلى مسمعها صوت انصفاق الباب الخارجي مشيراً إلى خروج جاستين.

سألتها لوسي: «هل سيعود ويرانا مرة أخرى؟»

أجابت: «أظن ذلك.» وكان هذا لسوء حظها، فقد وجدت حضوره في بيتها اكثر صعوبة مما كانت تظن.

لقد آلمها ذلك اكثر من الألم الذي كانت تظن رؤيته مع ابنتها ستسببه لها.

كان هذا ما يجب ان يكون، مامي وبابا، وأمسيات هادئة معاً، يلعبون اثناءها ويضحكون كأي أسرة.

كان هذا حلماً خلفته وراءها منذ مدة طويلة. حلماً كان جاستين قد سرقه منها، وشعرت بالكراهية له وعودته هذه التي اعادت اليها ذلك الحلم الذي لن يتحقق.

فلو كان الأمر حقيقة وليس حلماً، لكانت عادت إليه الآن، بعد نوم طفلتهما، لتؤكد له حبها كأي زوجة، وتبتسم في عينيه.

وخرجت من غرفة لوسي على اطراف اصابعها، واغلقت الباب خلفها، ثم توقفت. كان المنزل غارقاً في الظلام والسكون.

لقد ذهب جاستين.

ذهب وهذا ما كانت تتمناه.

تناولت بعض الكتب عن رف المطبخ، ثم دخلت إلى غرفة الجلوس وأضاءت النور، لكنها أجفلت وهي تحدق في ذلك الجسم المتمدد على الأريكة. وتصاعدت خفقات قلبها ولم تتمالك من الابتسام. ذلك ان جاستين كان متمدداً على أريكتها مستغرقاً في النوم.

اقتربت منه لا تريد سوى أن تلقي عليه نظرة تتأمل اهدابه، وجنتيه، كتفيه العريضتين داخل كنزته.

وزادت من اقترابها منه. انها تسمع الآن انفاسه المنتظمة، وتشم رائحته.

كانت قد ظنت، هذا المساء، ان جزءاً من احلامها قد تحقق، فقد كان جالساً إلى المائدة بشكل طبيعي أليف، وكذلك وهو يقرأ قصة قبل النوم للوسي، ثم وهو نائم على الأريكة...

قالت: «اريدك ان تخرج الآن.»

وقف واخذ يتمطى بكل ثقة ما جعلها تشعر بالعصبية وقال: «لماذا لا نذهب نحن الثلاثة في نزهة يوم الأحد؟»

عقدت ذراعيها فوق صدرها وسألته: «نزهة؟»

أجاب: «نعم. فنأخذ معنا شطائر، ونلتقط التوت البري، ما قولك؟»

كان أول جواب تبادر إلى ذهنها هو أنه مجنون، ولكن ما خرج من فمها كان كلمة بسيطة واحدة هي: «كلا.»

قال مفكراً: «لا أظن ان لوسي مهيأة بعد للخروج معي وحدها، فهل بامكاني اذن ان احضر فقط للزيارة يوم الأحد؟»

ذكرها كلامه هذا أن ثمة رباطاً بينهما الآن لن تستطيع فصمه، وهو لوسي.

ربما كانت النزهة اكثر أمناً، بالنسبة اليها، من حضوره إلى هنا، حيث المنزل اصغر من ان يحتويه، وحيث لا مكان تهرب إليه منه.

عادت تقول باختصار: «سأفكر بمسألة النزهة.»

قال باسماً: «افعلي، انني سأكون في منزل عمي، ويمكنك ان تمري علي هناك وتخبريني بقرارك.»

قالت بارتياب: «وما الذي تصنعه في منزل عمك؟»

أجاب: «لقد اخبرني البعض أن آبل هي مكان جيد للاستقرار.» ثم انحنى لها بشيء من التهكم وهو يقول: «تصبحين على خير، يا لورا.»

الفصل الخامس

وقفت لورا خارج البوابة وهي تنظر باكتئاب إلى ذلك المنزل العالي الضيق ذي اللونين الأبيض والبني. انه خالٍ من السكان منذ اكثر من عام. وهو يحتاج إلى شيء من الاصلاح قبل ان يصبح مناسباً لإقامة قرعة عليه.

تناهى إلى مسمعها صوت طرق قوي في الداخل، فوجمت لذلك لحظة، دفعت بعدها البوابة ودخلت. كانت ترتدي قميصاً عالي العنق وتنورة تناسبه. وعندما رأت صورتها في المرآة، هذا الصباح، شعرت بالرضى. لقد بدت غاية في الحشمة واللياقة، تماماً كمعلمة مدرسة في بداية هذا القرن. كان منظرها لا يشكل أي لفت للنظر.

طرقت الباب بعنف، وانتظرت. وسمعت صوت خطوات جاستين بعد أن توقف الطرق. واسرع قلبها بالخفقان، ومن ثم انفتح الباب على مصراعيه. انحبست انفاسها. فهي لم تكن رأت جاستين منذ أيام. كان يرتدي قميصاً قصير الكمين وقد نضحت ذراعاه بالعرق، وبنطال جينز قديماً، وقد علا غبار الجبس شعره ما جعل أمامها صورة له لما سيكون عليه شكله عندما يبلغ الأربعين أو حول ذلك.

ازاح ستارة الباب ووقف ينتظر دخولها وهو يقول مرحِّباً: «ها هي ذي الآنسة لورا ويفير قادمة لزيارتي.»

حملقت فيه شاعرة بأنه لاحظ على الفور ما حرصت على ارتدائه من ملابس محتشمة. وشعرت فجأة بسخافتها إذ

ترتدي هذه الثياب التي فشلت في أن تحقق الهدف منها. على كل حال، فقد كانت عينا جاستين وقحة وهو يتأملها مفكراً.

قالت: «شكراً. سأنتظر في الخارج.»

قال ساخراً: «هل نسيت مرافقتك، يا آنسة ويفير؟» وكان يعني أنها لم تكن تثق بنفسها في الدخول إلى بيت رجل من دون حارسة.

كان عليها أن تصر على البقاء في شرفة مدخل المنزل امام الجيران جميعاً، وفي مأمن تام في ضوء النهار. ولكنها دخلت إلى المنزل بعد أن شعرت بأنه قد تحداها أن تستطيع الدخول، ومن ناحية أخرى كان الفضول يتملكها لرؤية ما يصنع في المنزل الذي كانت بحاجة ماسة إليه لفائدة المدينة.

فتحت فمها ذاهلة وهي تقول: «جاستين!»

أجاب: «ماذا؟»

قالت: «اذا كنت ستهدمه، لماذا لا تبيعه لنا؟»

قال هازلاً: «انني لا اهدمه بل أجدده.»

نظرت إلى اكوام الأنقاض، والجص المحطم والجدران المسحوقة، ثم هزت رأسها قائلة: «هل تعرف ما الذي تقوم به؟»

قال معترفاً ببساطة: «كلا، في الواقع. ولكن المكان كان مظلماً، والغرف صغيرة ضيقة.»

سألته: «ومن الذي يدير اعمالك أثناء لعبة التجديد هذه التي تقوم بها؟» كانت ترجو حصول شيء مهم يذكره بأعماله المنسية في الأمكنة الأخرى، فيلقي المطرقة من يده

ويتوجه رأساً إلى ستاندوفر. ولكنه ابتسم ببساطة ابتسامة تثير الغضب، وقال: «انني لم احصل على إجازة منذ مدة طويلة. ولا شيء بالنسبة لأعمالي لا استطيع انجازه من هنا، في الوقت الحاضر.»

فحفظت عنه الكلمات الثلاث الأخيرة، في الوقت الحاضر، ثم قالت: «ان هذا لا يبدو وكأنه إجازة حقيقية.»

قال: «انني استمتع بهذا العمل.»

نظرت إليه. وبدا لها أن هذا صحيح. فقد كان الاسترخاء والحيوية يبدوان عليه. وعيناه السوداوان تتألقان تحدياً، وقد اخطأت هي في الدخول.

سألها: «اتحبين القيام بجولة؟»

أجابت: «كلا.» ولكن لا بد ان الفضول قد بدا على وجهها، لأنه قال: «هيا، يا لورا، انك تعشقين هذه الأماكن القديمة، فأنا اتذكر انك كنت دوماً تتواجدين في الأمكنة المهجورة وفي عينيك نظرة حالمة.»

قالت ببرود: «احقاً كنت كذلك؟» ولكنها كانت في الحقيقة تتذكر هذا جيداً. فالأبنية القديمة المتينة كانت تمثل في نظرها التاريخ، عندما كانت الأشياء اكثر رقة وبطئاً. كانت تمثل أيام كانت للأسرة اهميتها وتقاليدها. أيام كان الناس يجلسون في شرفات مداخل بيوتهم ويزورون اصدقاءهم، وعندما كان الأولاد يلعبون في الساحات امام منازلهم أيام الآحاد. أيام كان الرجل أو المرأة إذا قال الواحد منهما سأفعل، فهو وعد يحفظه لآخر عمره. وبالنسبة إلى فتاة ذات تربية عصرية غير مستقرة، مثل هذه البيوت توحي إلى تلك الفتاة بالدوام.

وشعرت بالحرج إذ تجد أن مثل تلك الحكايات الخرافية مازالت تحتل مكاناً في قلبها.

قال: «سأزيل الردهة، لكي اجعل غرفة الجلوس أوسع واكثر اشراقاً. ثم اهدم الجدار الفاصل بين غرفتي النوم في الطابق الأسفل لاصنع منهما واحدة فسيحة.»

قالت: «ان بيتك سينهار فوق رأسك.»

قال: «لقد تركت الجدران الصامدة.» إذن فهو يعرف عن تجديده للمنزل اكثر مما صرح به، وأيضاً عنها هي.

قال جاستين وهو يتجه بها خلال سلم ضيق من المطبخ: «تعالي لتري هذا الدرابزين.» فأمسكت بخشب البلوط القديم صاعدة معه، وانتهى السلم إلى غرفة فسيحة مشرقة تغمرها أشعة الشمس. كان واضحاً ان جاستين قد انتقل من الفندق إلى هذا المنزل.

كان ينظر إليها بعينين حادتين، فتسارعت انفاسها، وبدت لها الغرفة فجأة، بالغة الصغر.

قال لها: «هل أعجبتك الغرفة؟»

جمدت في مكانها، ولكنه تقدم منها ووقف ينظر إليها ثم قال: «يجب أن تكوني على الدوام، في أجمل طلة.»

قالت: «جاستين. ان هذا يجب ان يتوقف.»

قال: «ماذا؟»

أجابت: «انك تعرف ماذا اعني.»

قال ببطء: «العاطفة؟»

أومأت برأسها، فقال: «ولكنني لا أدري كيف أوقفها، هل بامكانك ايقاف العاصفة؟ هل بامكانك ايقاف تعاقب الفصول؟»

فقالت بلهفة: «جاستين، ان كل ما يجمع بيننا هو لوسي.»

قال: «أحقاً؟ ولكن هناك شيئاً آخر يجمع بيننا، فأنا لا استطيع البعد عنك، كما انك لا تستطيعين أنت ذلك.»

قالت: «بل استطيع.»

قال: «انك لا تستطيعين.»

قالت: «لا يمكننا أن نتصرف بهذا الشكل، اذا كنت تريد ان تعرف لوسي.»

قال بعنف: «وما دخل هذا بلوسي؟»

ردت قائلة: «ألم تكن لوسي نتيجة زواجنا؟» فكأنما وجهت إليه صفعة. إذ تقبضت يداه بجانبيه وقد تملكه الاحباط، ثم دسهما في جيبيه وهو يحول نظراته عنها نحو النافذة التي كانت تطل على جبال آبل.

وعندما عاد ينظر إليها، كان البريق قد اختفى من عينيه. جمد في مكانه، وقد تعلقت عيناه بعينيها، ثم قال: «انك لا تثقين بي أبداً، أليس كذلك؟»

رأت أمامها فرصة تؤلمه فيها، ولكنها لم تستطع أن تنتهزها، بل قالت: «انني لا اثق بنفسي كذلك.»

قال: «أي حياة حزينة موحشة وصلت إليها يا لورا؟ ضبط النفس في كل شيء؟ فلا طموح، ولا مجال للتوقعات...»

قالت: «انني افعل فقط كل ما اظنه مناسباً للوسي.»

قال: «وهذا يعلمها أن لا تثق بقلبها ابداً؟ ان لا تتبع عواطفها ابداً.»

ولكنها وثقت بعواطفها نحو جاستين مرة، وقالت: «ان هذه الأمور تجلب الآلام، وتسكت كل منطق عقلاني.»

قال: «نعم، ان الحياة مؤلمة احياناً يا لورا. ولكن إذا انت قلت لا، لكل ما يجلب الألم، وعندما تتبعين دوماً الخيار العقلاني، فأنت لن تعيشي حقاً.»

الحياة مؤلمة احياناً... لا بأس، لقد عرفت ذلك. لقد سبق واخذت هذا الدرس منه هو، وهي لا تريد ان تكرر هذا الدرس. ومن هو حتى يخبرها ما هي الحياة؟ لقد كانت حياتها ملأى، وكانت راضية قانعة، فهي لا تريد ما يمثله لها جاستين من تعقيدات وفوضى.

«لورا.»

توقفت عند الدرجات، واستدارت تنظر إليه، راجية أن لا تفضحها اساريرها.

سألها: «هل جئت لأجل النزهة؟»

كانت قد نسيت الغرض من مجيئها كلياً، فأجابت: «نعم.»

فسألها: «إذن؟»

لم تكن تريد رؤيته، مطلقاً.

وانذرها عقلها، الغي هذه النزهة. اخبريه أن الأرصاد الجوية تنبأت بجو ممطر. اخبريه انك تريدين ان تقتلعي ضرس العقل.

ولكنها قالت: «كن مستعداً في الساعة الحادية عشرة يوم الأحد، وسأجهز أنا الغداء.»

ارتسمت على وجهه ابتسامة بطيئة علمت منها لورا أنه لم يفهم ما كانت تريده ان يفهمه. وهبطت بقية الدرجات ركضاً، ثم خلال منزله فإلى الخارج.

• • •

«ثم سحب الكابتن هوك سيفه لكي يقطع به رأسي، ولكنني سحبت سيفي وأوقعت شعره المستعار عن رأسه...» وسكتت لوسي لحظة وهي تقهقه ضاحكة بسرور، ثم عادت تقول...

كانت الغابات حول جاستين عميقة ساكنة، هادئة. حاول أن ينظر في عيني لورا، ولكنها كانت تنظر في كل مكان، ما عدا عينيه.

تمتم قائلاً: «اننا على الأقل، لا يكون علينا أن نقلق بشأن الدببة، فالدببة لا تحب الضوضاء.»

كانت لورا قد عادت اليوم فربطت شعرها إلى الخلف، كما لاحظ، كما كانت ترتدي كنزة فضفاضة وبنطالاً.

ولم يكن عليها أن تقلق من شيء، فقد كان مصمماً على أن يتحلى بضبط النفس هذا النهار. فقد كان من المخجل ان يتصرف رجل ناضج ناجح، كتلميذ مدرسة مراهق.

سألته لوسي: «هل أنت مستمع إليّ؟»

قال معترفاً: «نعم، ولكن فاتني القسم الأخير.» فرمقته ابنته غاضبة وقالت: «كان ذلك القسم مهماً.»

قال بجفاء: «وهل سيكون هنالك اسئلة اختبار؟»

سكتت وشبكت ذراعيها على صدرها. كان شعرها مربوطاً إلى الخلف بشريط كشعر أمها.

سألته: «اتظن أن اسم هوك مناسباً لقطيطة؟»

أجاب: «هذا اذا كانت القطيطة سيئة الطباع.»

فألقت عليه نظرة لم يبد فيها أي تأثر. ثم اطلقت صيحة ثائرة كادت تثقب طبلة أذنه، لتندفع بعدها راكضة صعوداً في الطريق أمامهما.

www.elromancia.com

عندما توارت خلف منعطف، سأل لورا: «أليس ثمة بأس في أن تتركيها تذهب هكذا؟»

قالت: «لا بأس.»

ولاحظ انها كانت تقتصر في حديثها على كلمات ذات مقطع واحد، وبدون ان تنظر إليه.

قال بحذر: «انها، صاخبة نوعاً ما... أليس كذلك؟» فقد كان صياحها يصل إلى مسامعهما.

ألقت عليه نظرة جافة لم يستطع ان يفسرها، ففكر في أنها ربما تعني شيئاً مثل، (هل يفرغ صبر الآباء بهذه السرعة؟)

سألها: «كيف يسير البحث عن منزل جديد للاقتراع عليه؟ اجيبي على ذلك بكلمة ذات مقطع واحد يا لورا.»

ردت قائلة: «بنجاح.»

قال: «ما معنى هذا؟ اهو انكم وجدتم منزلاً؟»

أجابت: «محتمل.»

سألها: «هل كلمة محتمل مؤلفة من مقطعين أم ثلاثة؟ اتراني احرزت تقدماً؟»

ألقت عليه نظرة أخرى تعني بوضوح انها تظنه مجنوناً.

غرد بلبل قريب منهما، فرأى لورا تميل برأسها ناحية الصوت، واخذت عيناها، تينك العينان الفيروزيتان الرائعتان، تبحثان عن مصدر الصوت وقد لاحت فيهما ابتسامة.

ولم يدرك هو ما كانت عليه من توتر الا بعد ان شاهد فمها يسترخي برقة.

وبعد ذلك بساعة، كان جالساً بين مجموعة من الشطائر

والجلي والكعك، لقد قالت له لورا ان ليس ثمة شيء خاص.

وتمنى لو فكر في ان يحضر لها غداء، وكانت لوسي التي لطخ الجلي وجهها حتى اذنيها، قد بقيت هادئة اثناء فترة الغداء وعيناها تتنقلان بينه وبين أمها.

اخيراً سألت: «هل انتما متخاصمان؟»

نظر إلى لورا بسرعة وقال: «كلا.»

قالت: «لماذا يبدو الغضب على وجهيكما إذن؟»

قال: «اصحيح هذا؟»

عبست بشكل مبالغ فيه وقالت: «هكذا يبدو شكلكما.»

قال يتظاهر بأنه صدم: «آه.» ثم خبأ وجهه خلف فوطة.

أغرقت لوسي بالضحك، ولكنها لم تتجاوز عن الأمر، فتحولت تسأل أمها: «أمي، هل تخاصمتما؟» لقد بدا انها لم تصدق ما قال، وفكر مكتئباً بأنها لا تثق بأي منهما.

أجابت الأم: «كلا. ولكن الكبار احياناً يكونون غير متفقين في أشياء كثيرة.»

ولم يدع هو ملامحه تنم عن مبلغ الألم الذي سببته له هذه الوخزة منها.

قالت لوسي: «ولكنه سيصبح رفيقك، أليس كذلك؟»

أجابت لورا: «كلا.»

قالت لوسي بصوت شاك: «ولماذا هو هنا إذن؟»

قال جاستين: «ان عليّ ان اتعرف اليك.»

قالت لوسي باهتمام: «تتعرف عليّ أنا؟»

أجاب: «نعم. أنت.»

قالت: «انني لست كبيرة ليكون لي رفيق.»

قال: «هذا صحيح. ولكن ربما صديق.»

قالت: «انك اكبر من ان تكون صديقاً لي، انك ممكن أن تكون...» وبدا في عينيها بريق من أمل كاد يسبب له صدمة، وتابعت تقول: «ممكن ان تكون أباً لي.»

وساد لحظة سكون غير عادي، وكان بريق عينيها يتلألأ بتفاؤل بريء.

نظر بسرعة إلى لورا، ولكنها كانت قد اشاحت بوجهها تاركة إياه يسوّي أموره مع ابنته، وحده.

واخيراً قال لابنته: «وهل كنت ستحبين ذلك؟»

نظرت إلى أمها بحذر طالبة الإذن. ومن طرف عينه رأى منها ايماءة لابنتها خفيفة لا تكاد تلحظ. وغمره شعور بالشكر.

قفزت لوسي إلى حضنه، ولفت ذراعيها حول رقبته ثم طبعت على خده قبلة رقيقة، وقالت: «كنت دوماً اتمنى لو كان لي أب، حتى اكثر من القطيطة.»

قال، وهو لا يدري ما عليه أن يقول: «آه...»

قالت: «انني اعرف طبعاً ان هذا مجرد ادعاء، ولكن حتى الادعاء شيء جميل، أليس كذلك؟» فأومأ برأسه موافقاً.

أخذت تقول بنعومة: «بابا.»

سمعا معاً حركة صدرت عن لورا، فالتفتا إليها، كان وجهها بالغ الجمود، وهي تقف ثم تبتعد عنهما واضعة يديها في جيبيها، وقد بدا الغضب واضحاً في حركاتها.

تجهم وجه لوسي، ثم فكت ذراعيها من حول عنقه ووقفت وهي تقول: «انا آسفة. لكن لا يمكنك أن تصبح أبي الا إذا رضيت عنك أمي.»

أومأ يظهر لها التفهم وهو يغالب غصة صعدت إلى حلقه، وقد عاد شعوره بالغضب على لورا كما كان. لماذا تعرقل عليه حظه مع ابنته.

سألته: «هل تستطيع ان تجعل أمي راضية عنك؟»

أجاب: «لا ادري.»

قالت: «انها تحب الأزهار والشكولاته.»

قال: «أظن الأمر اكثر صعوبة من هذا.»

قالت: «آه، حسناً، دعنا نذهب ونجمع بعض التوت البري، فربما يسعدها هذا، ولن نأخذ منها أجرة.» ومدت له يدها الصغيرة اللزجة، فأخذها ووقف على قدميه.

جمعا معاً التوت، وأكلا الكثير منه، اكثر مما جمعاه. وفجأة، توقف.

ناداها: «لوسي، تعالي هنا.»

تقدمت منه ثم اخذت تنظر إلى الزهرة التي كان ينظر إليها، ثم سألته وهي تمد يدها إليها: «ما هذه؟»

قبض على يدها قائلاً: «كلا، لا تقطفيها. انها تدعى زهرة الاوركيد، وهي ستموت اذا انت قطفتها.»

أومأت برأسها متفهمة، فترك يدها قائلاً: «انها زهرة اوركيد برية.»

قالت: «انها جميلة جداً.»

قال: «بامكانك ان تتمني شيئاً وربما يتحقق.»

قالت: «احقاً؟» واغمضت عينيها وأخذت تجهد ذهنها في التفكير، ثم قالت: «اتمنى ان احصل على قطيطة عندما تلد قطة إلسا. أريد واحدة حتى ولو رفضت أمي.»

وتساءل عن نوع المشكلة التي وضع نفسه فيها الآن.

عند ذلك، جاءهما الصوت، رقيقاً برياً ثم غامضاً موحشاً. وشعر بقلبه يكف عن الخفقان.

قالت لوسي برقة بالغة: «انها أمي تغني.»

قال بنفس الرقة: «اعلم ذلك.» كانت هذه الأغنية البرية الحزينة تترك في نفسه اثراً عميقاً، وجلسا هو ولوسي، مدة طويلة، وهما يستمعان، مفتونين، إلى روعة الألحان البرية، إلى أن تلاشت أخيراً مخلفة في نفسه فراغاً لا يطاق.

اعاد إلى لوسي دلوها، ثم عاد يجمع التوت بنفسه، واخذ يصفر بفمه محاولاً تبديد الصمت الذي شعر به ثقيلاً، ولم تعد لورا الا في وقت متأخر من العصر.

اهدياها دلوي التوت اللذين لم يكونا ممتلئين تماماً. وقالت لها لوسي: «انها مجاناً.» ثم همست لها بصوت عال لكي يسمع هو ويحرجه ذلك: «ان جاستين يريد منك ان تكوني راضية عنه.»

أجابت الأم: «انني راضية عنه تماماً يا حبيبتي.» وادهشه ان يكتشف انه لم يكن يريد لورا ان تكون راضية عنه تماماً، فهو يفضل كراهيتها المتقدة على عواطفها التافهة الباردة.

ولما حملق فيها غاضباً، ردت عليه بنظرة حاقدة. فنظرت إليهما لوسي بقلق وكدر. وبدت هادئة جداً وهم ينزلون من الجبل متثاقلين. وكانا قد اصبحا عند سفح هذا الجبل تقريباً، عندما توقفت فجأة، واستدارت إلى الخلف، ثم ركضت عائدة تصعد الجبل.

ركض جاستين يمسك بها قائلاً: «إلى أين انت ذاهبة؟»

فأخذت تسحب يدها منه بقوة مدهشة وهي تصيح به: «اتركني، عليّ ان اعود.»

قالت لورا: «لم يعد الوقت يسمح بالعودة الآن يا لوسي. اننا سنعود إلى هنا مرة أخرى قريباً.»

أخذت تصرخ بصوت عال: «لا... لا... لا...» وتفجرت الدموع من عينيها، واختنق وجهها، وهي لا تنفك عن الصراخ: «يجب ان نعود.»

سألها بصوت أعلى من صراخها: «لماذا؟»

قالت بعنف: «لقد افسدت امنيتي عند الزهرة وطلبت شيئاً غير ما عليّ ان اطلبه، اريد ان اعود واغيرها.»

نظر إلى لورا التي هزت رأسها خفية محذرة إياه من الخضوع لها.

ووضعها على الأرض بعد ان اصبح صراخها لا يطاق، فأخذت تركض بحركات دائرية، ثم انبطحت على الأرض واخذت تلكمها بقبضتيها وهي تنوح وكأنها كانت تموت.

قالت لورا بحزم: «هذا يكفي يا لوسي.»

لكنها تجاهلتها وهي تصرخ قائلة: «اريد ان اعود والا سأموت. اريد ان اعود والا جعلتك تدفعين الثمن. اريد ان اعود والا فلن اصبح فتاة طيبة ابداً.»

عادت لوسي تقول مرة أخرى بصوت غريب بهدوئه: «لوسي، هذا يكفي.» وتقدمت إلى ابنتها، وإذا بهذه تسدد إلى وجهها لكمة قوية.

فشهقت لورا مجفلة، وتراجعت إلى الخلف وهي تمسك بأنفها.

فأعمى الغضب جاستين، فاندفع بسرعة، وقبض على

ذراعي ابنته وجذبها يوقفها على قدميها، ثم ادارها وانهال عليها بصفعتين قويتين.

توقف الصراخ فجأة، واخذت الأم والابنة تحدقان فيه بأعين ذاهلة مصعوقة.

قالت لوسي باكية: «اننا لا نعاقب في بيتنا بالضرب.»

قالت لورا تثبت كلامها: «كلا، اننا لا نفعل ذلك.»

عاد يحمل لوسي، فقاومته انما دون حماس، إنما نظر إليها محذراً، فاستسلمت وألقت برأسها على كتفه واغمضت عينيها.

ولم يعاود النظر إلى لورا، واستحالت شهقات لوسي إلى غطيط رقيق.

وصل إلى منزلها وفتح الباب، ثم دخل مباشرة إلى غرفة لوسي، فوضعها في فراشها، وسحب فوقها لحافاً على جسمها النائم. وكان وجهها مايزال ملطخاً بمزيج من الدموع وعصير التوت البري.

وكان خارجاً من الباب، عندما لحقت به لورا، لتقول والعنف في عينيها وقد عقدت ذراعيها فوق صدرها: «كيف تجرؤ على صفع ابنتي.»

حملق فيها غاضباً، وشعر بثائرته تثور. أحس كأنه كان في دوامة. وبدلاً من أن يبدو، على الأقل شيء من التأييد والتعاطف في عيني لورا، رأى الشرر يتدفق منهما نحوه.

قال: «ولكنها ابنتي انا أيضاً، وكانت بحاجة إلى الضرب.»

قالت: «ومن أين لك الحق، انت الذي كنت غائباً عنها منذ ولادتها، في أن تدخل حياتي وتفرض آراءك. انني لا أحبذ بالضرب.»

قال: «هذا واضح إلى حد بعيد.»

سألته ببرود: «ما معنى كلامك هذا؟»

قال: «أيّ نوع من الأمهات أنت، إذ تجعلين من تلك الطفلة الحلوة غولة مخيفة؟»

كان يعلم مدى القسوة في هذا الاتهام والذي ربما ليس له داعٍ، ولكن حيث أنه ابتدأ، فالأمر لن يتوقف قبل نهايته.

ومر بجانبها خارجاً نحو مدخل البيت، ولكنه استدار إليها يقول: «انك رئيسة بلدية، ورئيسة غرفة التجارة، وشارية منازل المدينة... فمتى تجدين وقتاً لتكوني أماً لتلك الطفلة المسكينة؟»

كان يدرك انه جرحها، ولكنه شعر بسرور لذلك، كان مسروراً إذ يشعر أنه يجرحها كما سبق وجرحته هي، فهو لم يكن أباً غائباً عن ابنته بإرادته.

قال لها بحدة: «وعلى كل حال، ما سبب كل هذا النشاط الزائد؟»

صفقت الباب بوجهه بعنف جعل الزجاج يتقلقل في مصراعيه.

وأراد ان يستمر في قرع الباب حتى تفتحه له. فقد كان يتملكه دافع بدائي إلى الشجار معها، ولكنه ادرك من تلك النظرة القاتلة في عينيها، بأنها لن تفتح له أبداً.

ولم يعلم أنها وقفت تسند ظهرها إلى الجانب الآخر من الباب، وجسدها يرتجف عنفاً.

وتمتمت خلال اسنانها المطبقة: ما سبب كل هذا النشاط الزائد؟ انني احاول ان املأ الفراغ الذي تركته في نفسي، يا جاستين، هذا هو السبب.

الفصل السادس

ذهبت لورا إلى مقر الاجتماعات مبكرة قليلاً. كان المكان ضئيل الحجم، ذات ستة مقاعد إلى كل جانب من السجادة الحمراء. وكان زجاج النوافذ ملوناً فكانت الشمس المتسللة من خلاله، تسبغ على المكان ألواناً رائعة.

كان هناك أيضاً زهور غضة من حدائق آبل يمتزج شذاها بروائح الشموع والخشب والبخور. كان مكاناً هادئاً يوحي بالسلام. وكانت لورا تشعر فيه دوماً بالأمن والهدوء.

ولكن لم يبد أن ثمة فائدة من ذلك هذا النهار. وتنهدت، ثم فتحت حقيبتها وأخرجت منها بعض الأوراق.

فتح الباب الخلفي، وبعد لحظة كانت غريسيا بجانبها. كانت اجتماعات المدينة واللجنة تعقد دائماً في هذا المكان.

منحتها لورا ابتسامة مرهقة.

قالت لها غريسيا بخشونة: «ما الذي جرى يا لورا؟ إن منظرك فظيع.»

أجابت لورا: «يبدو أن نومي مضطرب. وسينتهي هذا بسرعة.»

قالت غريسيا: «هممم... هل عدت فرأيت ذلك الفتى كارترايت منذ يوم الأحد؟»

أخذت لورا تفكر في أن جاستين كارترايت لم يعد فتى. وهذه هي المشكلة. فهي تتذكر أن طلته في مطلع شبابه كانت أكثر اشراقاً ومرحاً مما هي الآن، حتى شخصيته الهادئة.

قالت تجيبها على سؤالها بتوتر: «كلا.»

قالت المرأة: «هممم... ربما أخافته لوسي. إنه لا يبدو لي من نوع الرجال الذين يخافون من طفلة في الخامسة، خصوصاً إذا كانت ابنته.»

قالت لورا: «لا أظن عدم حضوره هو بسبب لوسي.»

نظرت اليها غريسيا بدهاء. فعادت لورا تقول بلهجة الدفاع: «انها ثلاثة أيام فقط. وأنا لا أريده أن يكون هنا طوال الوقت، على كل حال.»

خصوصاً إذا كان يتهمها بأنها أم مهملة.

قالت غريسيا مواسية: «هذا صحيح.»

قالت لورا: «إنه يقوم باصلاحات في منزله.»

قالت غريسيا: «هذا صحيح. إنما أخبريني منذ متى ابتدأ نومك يضطرب. هل ذلك منذ يوم الأحد؟»

حملقت فيها لورا بغضب. ولحسن الحظ فتح الباب ودخل عدد من أعضاء لجنة الاقتراع على البيوت.

ثم، دخل هو.

كان الضوء المتسلل من خلال الزجاج الملون يسبغ على بشرته لوناً رائعاً، كما أحاله تلاعب الأضواء هذا، إلى ذلك الفتى الحدث الذي كانت منذ لحظات تتوق اليه... فتى مرحاً خالياً من الهموم.

حينئذٍ، وقعت نظراته عليها فتلاشت ابتسامته، ليعود إلى عينيه ذلك العنف والقسوة.

انتبهت إلى غريسيا وهي تراقبها بابتسامة خفيفة راضية.

تمتمت لورا بصوت منخفض: «ما الذي يفعله هنا؟»

قالت غريسيا: «إنني أنا التي دعوته بالطبع.»

ولوّحت له بيدها قائلة: «ها نحن هنا، يا جاستين.»

عادت إليه ابتسامته إذ رأى غريسيا، وتقدم نحوها وهو يوميء محيياً عدداً من أعضاء اللجنة، كما صافح بعضهم. وبدا أن الجميع سرهم وجوده.

ومالت كارلا صاحبة معرض الفنون نحوه وأخبرته أنها تلقت بعض اللوحات الجديدة، وسألته إن كان يحب أن يأتي لرؤيتها.

أما لورا التي كانت دوماً تحب كارلا، فقد ذعرت إذ وجدت نفسها تكرهها فجأة. ولكن، لماذا تهتم بمن تنظر اليه كارلا من خلال أهدابها؟

وانتقلت غريسيا جانباً، ثم ربتت على المكان الذي أصبح بينها وبين لورا، داعية جاستين إلى الجلوس.

فكرت لورا، وهي تضع حقيبتها بعنف في المكان الفارغ هذا، فكرت في مبلغ خداع غريسيا.

ولكن جاستين رفع الحقيبة وجلس مكانها واضعاً اشياءها على ركبتيه، فاختطفت هي الحقيبة منه ووضعتها إلى جانبها الآخر.

قال بسخرية خفيفة: «لم أكن أريد أن أسرق منها شيئاً يا لورا.»

قالت له بصوت خافت: «أظن هذه أول مرة ترى فيها هذا المبنى من الداخل.»

قال: «في مدينة كهذه، حتى غير المرغوب بهم أمثالي، يتلقون دعوات إلى أعراس أو حفلات.» وخفض من صوته وهو ينظر في عينيها بمودة أشعرتها بالحرج

وهو يتابع قائلاً: «كيف حالك يا لورا؟ إنني لم أرك منذ أيام.»

أجابت بايماءة خفيفة: «إنني بخير.»

قلبت بين أوراقها، ثم رفعت صوتها فوق الأصوات المهمهمة، وقالت مفتتحة الجلسة: «كما تعلمون جميعاً، إن السيد كارترايت...»

فقاطعها قائلاً وهو يمنح المجتمعين ابتسامة ظافرة: «جاستين.»

تابعت قائلة: «قد صمم على ألاّ يتخلى عن منزل عمه الكائن في ستارز رود، وهكذا نحن هذا المساء، بحاجة إلى دراسة الخيارات التي أمامنا. هل لدى أي منكم رأي ما؟»

ما كان ثمة نقص في الآراء قط في آبل من قبل. ولكن هذه الليلة، لسوء الحظ، لم يظهر أي من الموجودين أي اهتمام بالبيوت. وسأل البعض جاستين عن عمله في ستادنوفر وعندما أخبرهم أنه صاحب شركة لحن البراري، تصاعد صفير استحسان شق الصمت الذي ساد المكان فجأة.

سأله شخص آخر عن أحوال أبويه، وأين كان هو يسكن. وكم ينوي أن يبقى هنا.

وأخيراً، تدخلت لورا بعد أن امتلأت غيظاً من اهتمام الجميع بجاستين، تدخلت قائلة: «لدينا، في الواقع خياران فقط. فهناك مسكنان مناسبان، وهما منزل غرانت القديم الكائن على طريق جبل آبل ثم منزل رالف.»

وفتح باب القاعة ودخلت منه غليندا، وهي تتمتم: «آسفة لتأخري.»

ولاحظت لورا مبلغ الشحوب الذي انتابها عند رؤيتها

جاستين. ومنحها جاستين ابتسامة ودودة بعثت الاضطراب في نفس غليندا. فقد حنت رأسها، ثم جلست في صف بعيد عن الجميع.

فكرت لورا، يا للفتاة المسكينة... ربما يفيدها أن تعلم أنها ليست الفتاة الوحيدة في المدينة التي حطم جاستين كارترايت قلبها.

قالت لورا: «إنني شخصياً أظن أن منزل غرانت بعيد جداً.»

قال جاستين: «ولكن منزل رالف يحتاج إلى اصلاحات ضخمة.»

قالت لورا بحدة: «كيف عرفت هذا؟» وما لبثت أن احمرت خجلاً إزاء نظرات الدهشة من الموجودين للهجتها هذه.

تابع جاستين قائلاً: «حين قررت الاحتفاظ بمنزل عمي، نظرت حولي لأرى ما هي بقية الخيارات التي بقيت للقرعة. فأنا لم أشأ أن يكون وجودي هنا سبباً في أي فوضى أو ازعاج.»

منح لورا ابتسامة كان من حلاوتها أنها تمنت لو تضرب أسنانه تلك حتى تغوص في حلقه.

وقال مايك فيلد العجوز: «ما أجمل هذا منك يا جاستين.»

قال متابعاً: «وقد يكون منزل رالف غير قابل للاصلاح.»

قالت لورا: «هذا غير صحيح. فقد دخلت إليه بنفسي. انه صلب جداً. حقاً أن السقف يتسرب منه الماء ما يسبب بعض المشكلات، ولكن لا شيء هناك يتعذر اصلاحه، إن أمامه باحة رائعة وبشيء من الدهان والجص...»

قاطعها جاستين: «إن الأساس متفتت. ولا يمكننا انتشال المنزل بالرافعة، وصب أساس جديد. إن هذا صعب.»

حدقت فيه غاضبة. فهي لا تعلم شيئاً عن الأساسات. ولكنها ما زالت تشعر بالاستياء من تدخله في عملها.

قال مايك: «الحق معه. إن مسألة الأساس مهمة، ليس لدي مانع من التطوع لبعض اصلاحات النجارة، ولكن ليس بإمكاني أن أقوم بذلك العمل.»

قال جاستين: «ثم إن القيام به سيكلفنا أموالاً طائلة.»

قالت من خلال أسنانها المطبقة: «يكلفنا؟»

ردد بسرور: «نعم يكلفنا. والآن، إنني أوافق على أن مكان منزل غرانت هو بعيد نوعاً ما، ولكن بإمكاننا أن نعلن عنه كمنزل منفرد.»

عقدت لورا ذراعيها فوق صدرها محاولة أن لا تجعل الآخرين يرون مبلغ اشتعال الغضب في نفسها، بينما كان هو يتابع قائلاً: «أنا أعرف زبائن مستعدين لدفع أيّ شيء لكي يحصلوا على منزل منفرد مثل منزل بيتلسون. فهو قريب من أمكنة ريفية رائعة، وأمكنة لصيد السمك، ومحاط بالأشجار والجبال، كما أن هناك خليجاً صغيراً خارج بابه مباشرة.»

قالت غريسيا: «أظن أن جاستين ربما يعرف ما يريده الآخرون. فإن بطاقة لحن البراري ملصق على كل حقيبة وكيس نوم وجاكيت تأتينا إلى هنا. ما رأيك يا لورا؟»

أجابت لورا بعناد: «أظن أن منزل غرانت بعيد جداً.»

قال جاستين: «لقد دخلت إليه متفحصاً. إن هنالك مدفأة رائعة. من رأيي أن بإمكاننا أن نلتقط بعض الصور لتلك

المدفأة وللمنظر الأمامي للبيت ثم نعرضها في كل مكان يبيع التذاكر.»

قال أحد الحضور بإعجاب: «ما هذا يا فتى؟ إن لك رأساً مفكراً بين كتفيك.»

قال مايك: «لقد كنت معجباً دوماً بمنزل غرانت ذاك، ولا مانع لدي من أن أشتري به تذكرة لحفيدي في غرامتشا. إنه صياد كبير وبإمكانه أن يستعمله في الخريف.»

سأل جاستين: «هل استقر أمرنا إذن على منزل غرانت؟»

قالت: «ما زال لديّ بعض التحفظ بشأنه. ربما بإمكاننا أن ندع خبيراً يلقي نظرة على ذلك الأساس.»

فكان أن تلقت عدة نظرات غير راضية، وكأن اقتراحها هذا ليس سوى مكابرة لا ضرورة لها.

قال مايك: «بالنسبة اليّ، فأنا أفضل أن ننهي هذا الأمر هذه الليلة. فقد سبق وتأخرنا في اتخاذ القرار، إذ كنا في انتظار ما إذا كان هذا الرفيق الشاب سيبيع منزله.»

ألقت غريسيا نظرة ذات مغزى على لورا عندما ترددت كلمة رفيق وكأن هذه الكلمة هي إشارة إلى أن ثمة علاقة مصيرية كتبت لها مع جاستين، بينما هو أسوأ رجل قابلته في حياتها.

قال جاستين: «حسناً، إذن. فلنقم بذلك بطريقة ديموقراطية. هل ندلي بأصواتنا؟ وهل نقوم بذلك بواسطة الاقتراع السري، أم برفع الأيدي؟»

رددت غريسيا كلامه قائلة: «اقتراع سري؟»

ضحك الجميع بينما تابعت هي: «إننا نرفع أيدينا فقط يا جاستين.»

فقال: «هذا عظيم، والآن من مع منزل غرانت؟» ورفع يده عالياً فارتفعت الأيدي.

فقال وهو يضحك في وجهها بمكر: «من ضده؟» فرفعت يدها بعناد. فكانت الوحيدة. فنظر إلى غليندا قائلاً برقة: «غليندا، هل أنت ممتنعة؟»

نظرت لورا إلى غليندا وقطبت حاجبيها. فهي لم تلحظ أن غليندا لم تصوت، ولكنها لاحظت أن ثمة شيئاً غير عادي. فقد كانت غليندا ترتجف وعلى وجهها شحوب الأموات. بينما كانت عيناها تتنقلان بينها وبين جاستين. ثم، ودون أن تجيبه وقفت بشكل أخرق، ثم انسلت من بين الموجودين هاربة من باب القاعة.

استدار جاستين إلى لورا يسألها وقد بدا الذهول على وجهه: «ما الذي فعلته أنا؟»

قالت لورا وما زالت عيناها المضطربتان مسمرتين على باب القاعة المغلق: «لا أدري.» لقد كانت تربط بين جاستين وغليندا علاقة ما ذات يوم.

هل ما زال الألم يفتك بنفسها هي أيضاً، مثلها هي؟

قالت غرانت: «إن غليندا حساسة فقط، وهذا كل شيء. وربما أحست بأنك تطلب منها الغدر بلورا.»

بدا الذهول على جاستين، وقال: «ولكن ليس هذا ما قصدته أبداً.»

فكرت لورا بمرارة، أصحيح هذا؟ ولكنها، حين أخذت تفكر في الأمر منطقياً وجدت أن عليها أن تعترف بأن فكرة جاستين هي جيدة تماماً، وقد أدرك رجال المدينة ذلك.

قالت مسلمة بالأمر: «لقد استقر الأمر إذن على منزل

غرانت. والآن علينا أن نؤلف اللجان. مايك، هل لك أن تتسلم لجنة النجارة هذه السنة أيضاً؟»

أجاب المقاول: «بكل سرور يا سيدتي.»

قال جاستين: «وأنا لا أمانع في العمل فيه.» وتطوع عدد آخر من الموجودين.

قالت غريسيا: «أنا سأشرف على النظافة الداخلية والدهان والزخرفة. وأنا واثقة من أن غليندا ستصنع الستائر بكل سرور.»

وتطوعت لورا في مجال الاعلام.

بعد ذلك بساعة، توجهوا جميعاً، وقد تملكهم الحماس، إلى محل لورا التي ستستضيفهم بتقديم القهوة والكعك، كالعادة.

مشت خلفهم مسافة قليلة وهي تراقب جاستين. لقد فتحت له المدينة أبوابها. فها هو ذا قد أصبح محبوباً ومحترماً من الجميع.

هذا طبيعي ما دام قد نشأ هنا. فبعض هؤلاء الناس قد عرفوه منذ كان صبياً. فالمدينة هي موطنه ولا بد أن الكثيرين منهم قد تكهنوا بأنه والد لوسي، رغم عدم علمهم بقصة زواجه من لورا وطلاقهما في ما بعد. ومع هذا، يبدو أن هذا لم يؤثر على أحد فقد رحبوا بجاستين بأذرع مفتوحة.

أتراهم كانوا سيتصرفون نحوه بهذا الشكل لو أنهم علموا أي رجل سافل هو؟

ربما. فهم أناس بسطاء يثقون بالآخرين ويتسامحون معهم كما تسامحوا معها هي في محنتها عندما تركتها

أمها وحدها وانتقلت من المدينة وبقيت هي. لقد رحبوا بها تماماً كما يرحبون الآن بجاستين.

قالت تخاطب غريسيا: «غريس، هل لك بأن تهتمي بتقديم القهوة هذه الليلة؟ إنني أعاني من صداع شديد.»

قالت غريسيا: «لا عجب في ذلك.»

قالت لورا: «عفواً؟»

قالت غريسيا: «إنك تضربين رأسك بالجدار، فتصابين بالصداع.»

قالت لورا: «لا أفهم ماذا تعنين.»

أجابت المرأة: «أعني، يا فتاة، أن عليك أن تكفي عن محاربة مشاعرك، وأن تتجاوبي معها.»

عادت لورا تقول: «لا أدري ما الذي تتحدثين عنه.»

قالت المرأة: «حسناً، لا تتوقعي أن تحصلي على نوم هانيء قبل أن تدركي معنى حديثي هذا.»

استدارت لورا، دون أن يلحظها أحد إلى شارع جانبي يقود إلى بيتها، وكان الظلام قد بدأ يحل. وفجأة كان جاستين يسير إلى جانبها.

قال: «هل بإمكاني أن أوصلك إلى بيتك.»

وشعرت للحظة، وكأنما عادت بها الأيام إلى الوراء. عابرة كل السنوات الماضية... فقد كان الأمر ابتدأ بهذا الشكل.

كانت عائدة إلى البيت من منزل بعض الأصدقاء، عندما ظهر جاستين فجأة إلى جانبها، يقول: «هل بإمكاني أن أوصلك إلى بيتك؟»

لقد قالت له نعم. فقد كانت تراه كثيراً في بيت والديه...

www.elromancia.com

وكان جذاباً إلى حد غريب ما شغل بال الفتيات وأحدث بينهن ضجة. وكانت قد صممت على أن لا تكون واحدة من تلك الفتيات، وكانت معرفتها به لا تعدو التعليقات القارصة التي كانا يتبادلانها عند السياج، ولكن في تلك الليلة التي كانت تضيئها النجوم تغير كل شيء.

وهكذا أوصلها، حينذاك إلى بيتها. وقد تسابقت ضربات قلبها واحمر وجهها وهي ترى هذا الشاب الطويل النحيف الوسيم الوجه، سائراً بجانبها.

وها هي ذي الآن تتساءل عما إذا كان يتألم للذكرى كما تتألم. قالت له: «إنني لست بحاجة إلى حارس يا جاستين. إن آبل ما زالت هي نفسها.»

فقال: «وماذا لو اعتبرتني مرافقاً؟»

أجابت: «كلا، أشكرك. اذهب وتناول القهوة وربما طلبت منك كارلا الذهاب معها لتريك لوحاتها.»

قال: «سأفعل إنما بعد أن أوصلك إلى بيتك. إنني أريد أن أتحدث إليك.»

قالت: «إن لديّ صداعاً.»

قال: «إنني أعرف كيف أشفي الصداع.»

قالت: «كنت طلبت منك أن تكف عن هذا.»

سألها: «عن ماذا؟»

قالت: «أن تسبغ على كل شيء معنى عاطفياً.»

ضحك بهدوء قائلاً: «لقد كنت، في الواقع أفكر بعملية تمسيد خاصة تعلمتها في الصين. أما المعنى العاطفي فهو في ذهنك فقط.»

شكرت لظلمة الليل أن أخفت احمرار وجهها. وحيث أن

آبل كانت صغيرة. فقد كان بيتها لا يبعد أكثر من ثلاث دقائق عن وسط آبل. وطيلة تلك السنوات كان طريق البيت يبدو لها قصيراً جداً، أما هذه الليلة فقد كانت بالغة الطول.

قال لها: «هل تريدين أن تأتي معي إلى منزل غرانت؟ لقد كان خياراً صائباً، يا لورا. انتظري إلى أن تري المدفأة.»

فقالت: «سأتصرف تبعاً لثقتي بكلامك هذا.»

قال لها: «هل تعلمين يا لورا أننا إذا كنا سنعمل معاً في ذلك المنزل...»

قاطعته قائلة: «إننا لن نعمل معاً في ذلك المنزل. فأنا سأكون في فرقة الاعلام. حتى أنني لن أبدأ عملي قبل أن يصبح المنزل جاهزاً للبيع. ومعنى هذا أنه سيكون بعد عدة أشهر، ومن ثم يعرض للرؤية، إذا كنت أنت ما زلت هنا عند ذاك.»

لقد كان أدلى بجواب مبهم عندما سأله المجتمعون هذا المساء عما يعتزمه بشأن المستقبل، وهو الآن ليس أكثر وضوحاً.

قال: «حتى ولو عدت إلى ستادنوفر، فانني سأداوم على العودة بانتظام قدر امكاني لكي أرى لوسي.»

بدا لها الجزء الأول من حديثه هذا عالياً واضحاً بينما تلاشى الجزء الثاني في ظلمة الليل. انه يفكر بالرحيل.

منذ أيام قليلة فقط، عندما كان يلمح إلى أن إقامته هنا هي محدودة، كانت تشعر بالسرور، إنما هذه الليلة كان شعورها مختلفاً... كان شعوراً يهددها بالوحدة، وهذا يعني أن تأثيره عليها ما زال موجوداً رغم كل شيء.

قال: «وماذا لو قمنا، نحن الاثنين، بزيارة تفقدية للمنزل ولو لكتابة ملاحظات؟»

قالت بجمود: «إمضيا قدماً أنت مايك.» لقد كانت تشارك في كل النواحي بالنسبة للبيوت الأخرى، فقد كانت تعشق اصلاح البيوت واعادتها إلى ما كانت عليه.

إنما عليها أن تتجنب منزل غرانت وكأن الخطر يكمن فيه.

وألقت عليه نظرة جانبية. الخطر... وجاستين قرصان هذا العصر، سارق القلوب.

قال: «أيمكنني أن آخذ معي لوسي غداً لتتناول الافطار معي؟ أظنها تألفني الآن تماماً.»

كانت الآن فقط قد قررت أنها لا يمكن أن تدع جاستين قريباً منها. أو أن تبقي على أي نوع من التعامل معه ما دامت مشاعرها غير واضحة تجاهه... فلماذا هذا الشعور الغريب الذي انتابها الآن بأنها مهملة معزولة؟

أجابت: «أنا واثقة من أن هذا سيسر لوسي.» وترددت قليلاً ثم تابعت تقول: «ألم يجعلك سلوكها يوم الأحد الماضي تنفر منها؟»

اقترب منها قائلاً: «لقد كنت قلت بعض الأشياء الفظيعة. إنني آسف لهذا.»

قالت: «لقد نسيت هذا.»

ولم يكن هذا صحيحاً، فهي كانت تريد أن تحتفظ له بصورة ذهنية سيئة لكي يمكنها مقاومة الانجذاب... وحاولت، عبثاً، أن تتذكر بعض خصاله السيئة... وأخيراً، لم تجد بداً من أن تتنهد مسلمة بالهزيمة بثقة.

الثقة.... إنها أصعب الأشياء. وحتى في ذلك الحين، وقبل مرور تلك السنوات الست، لم تضع هي فيه كامل ثقتها.

حتى في غمرة الحب وعنفوانه، كانت تحاول أن تبقي جزءاً من نفسها بعيداً عن جاستين. كانت ترى الطريقة التي كانت النساء تنظر بها إليه، وكيف كان يضحكهن بكل سهولة. لم تكن لتعجبه صداقتها مع جوفيرست ولكنها تعلقت بتلك الصداقة بكل عناد، فقد كانت تدرك أنها ستكون بحاجة إلى عطف جو أثناء الأيام المظلمة عندما يرحل جاستين...

قالت تصطنع المرح: «إن هذا شيء محير. هل أعجبتك الصين، يا جاستين؟»

نظر إليها طويلاً، ولم تستطع قراءة ما يجول في عينيه ولكنها كانت متأكدة من أنها لم تكن الثقة.

وأخيراً قال: «كلا. إنني لم أستمتع بوقتي في الصين.»

فسألته: «لماذا؟»

هز كتفيه قائلاً: «لقد افتقدت الجبال والسكون. ثم إنني ابتدأت أدرك القيمة التسويقية لمنتوجات براري كندا. إن الأشياء الحسنة تأتي من الأشياء السيئة أحياناً.» وسكت برهة، وعندما عاد إلى الكلام، كان صوته فاتراً: «سأحضر لأخذ لوسي حوالي الثامنة صباح الغد، إذا كان هذا يناسبك.»

كانت تكره منه هذا، تكره محاولته التظاهر بالتهذيب. تكره هذا التوتر الذي يسود بينهما. وفي الحقيقة، كانت تفضل تلك الفترات التي كانا يتشاجران فيها. أهي العواطف، مرة أخرى؟ كانت تعود بسلالتها أجيالاً عديدة

ورثت فيها عيب آل ويفير الفظيع، وهو تفضيل العواطف على الدفء والفتور.

لقد كانت صممت على ترك كل هذا الجنون خلفها، لكي تكون قدوة لابنتها.

قالت له: «هذا حسن، إلى اللقاء يا جاستين.»

وسرت وهي ترى صوتها جامداً فاتراً.

استدار مبتعداً، وصعدت هي إلى مدخل بابها وأطفأت النور الخارجي. إنها بذلك، ستتمكن من الوقوف في الظلام فترة طويلة، ولن يعرف أحد أبداً أنها وقفت لكي تنظر إليه إلى أن لم تعد تستطيع رؤيته.

يا لجنون لورا ويفير.

• • •

صعد جاستين إلى سيارته بعد الثامنة بقليل. فقد صمم على أخذ لوسي إلى مطعم لتناول طعام الافطار معه.

كان يشعر بشيء من العصبية بالنسبة إلى استئثاره بابنته، أما كان ينبغي له أن يدعو لورا معها؟

وأثارت هذه الفكرة مشاعر عميقة في نفسه، مشاعر كان صمم على مقاومتها. كلا، إن دعوة لورا مع لوسي غير ضرورية.

لم يأخذ منه الطريق من منزله إلى منزل لورا سوى دقيقة واحدة، ولهذا أذهله أن يراهما، هي ولوسي، جالستين في سيارتها الفولفو الأثرية، وكان يظن أنها لا بد ذهبت منذ مدة طويلة.

خرج من سيارته تموج نفسه بالغضب، هل تترك البيت

لأنه تأخر عشر دقائق فقط؟ لقد كاد صبره ينفد من تصرفات لورا.

وتقدم من الباب بشدة، وهو يصرخ: «أين أنتما...» وسكت وهو يرى لورا تنظر إليه هاتفة بفرح غامر: «جاستين، شكراً لأنك هنا.»

فتلاشى غضبه شاعراً بدلاً من ذلك، بالدفء يغمر كيانه، إنها المرة الأولى التي تظهر لورا سرورها لرؤيته وذلك منذ عودته إلى آبل.

أم أن ذلك بسبب الوقت الذي كان أمضياه عند الينابيع الحارة؟

وعادت لورا تقول: «جاستين، إن إيلسا تقاسي آلام الولادة الآن، إنني المشرفة عليها وكان المفروض أن آخذها إلى المستشفى.»

إذن، فهذه السعادة التي أبدتها لم تكن لرؤيته هو، فهي في هذه اللحظة الصعبة، ستكون سعيدة لرؤية أي شخص كان وليس هو بالتحديد، ومع ذلك، فليس لديه مانع في تمثيل دور الفارس الشهم لصديقه... لورا وربما ستدرك أخيراً أنه لم يكن الرجل السيء في هذه التمثيلية.

قالت له لوسي وهي تندفع إليه على الرصيف: «هل نحن ذاهبان لتناول الافطار؟»

قال: «ما رأيك إذا نحن أوصلنا، قبل ذلك، أمك وإيلسا إلى المستشفى؟»

وأجلس لورا ولوسي في سيارته، ثم توجها إلى منزل إلسا، أوقف السيارة أمام كوخها الأنيق، وهو يسمع أعنف صرخة ثاقبة للاذن، سمعها في حياته.

في طريقه إلى المنزل، كان يتخيل نفسه يحمل حقيبة وأمامه امرأة في نهاية مدة حملها تتهادى أمامه. واندفع داخلاً من الباب، لتقع عيناه على منظر لم يكن يتوقع رؤيته ابداً.

كانت إيلسا مستلقية على أرض غرفة الجلوس وعيناها الجامدتان مسمرتين على السقف، ووجهها يسبح في العرق.

وأدرك أنها لا بد على وشك الولادة، إذا لم يكن مخطئاً، وسرعان ما كانت لورا خلفه.

نقلا معاً إيلسا إلى غرفة النوم وقال جاستين لها مواسياً: «لا تخافي.» وغطاها جيداً بملاءة السرير وقلبه يخفق بألم عنيف. ان هذا اكثر مما كان ينتظر حين تطوّع ليكون الفارس الشهم.

دخلت لوسي تحملق في إيلسا بعينين متسعتين وهي تقول: «هل معنى هذا أننا لن نذهب لتناول الافطار؟»

قالت لورا: «اركضي يا لوسي ونادي غريسيا، وأنا سأتصل هاتفياً بسيارة الاسعاف.»

صدرت عن إيلسا صرخة مرعبة، فأمسكت لورا بيدها وجلست على حافة السرير تبعد شعرها المبلل بالعرق عن جبينها، أما جاستين فقد ابتسم لها قائلاً: «ستكونين بخير، إن سيارة الاسعاف قادمة وغريسيا تعرف ما يجب عليها عمله. هيا، تحملي قليلاً.»

فارق عيناها بعض الرعب الذي كان يطل منها، ونظرت إليه بثقة وهي تهمس: «لشد ما أنا خائفة، إنني أشعر بوحدة بالغة.»

بدت في عينيه، فجأة، نظرة متوترة، هل كان الأمر كهذا بالنسبة إلى لورا؟ هل كانت تشعر بالخوف، والوحدة؟ ومن كان بجانبها يمسك بيدها؟

قال بصوت أجش: «إنني لن أتركك، فلن تكوني وحدك.» وفي أعماقه كان الأسى يتملكه لكونه لم يكن موجوداً بجانب لورا عندما كانت بحاجة لسماع هذه الكلمات.

ولكن كان ذلك ما اختارته لنفسها بنفسها.

خرجت لورا من الغرفة وعادت تحمل بين ذراعيها مجموعة من المناشف وهي تقول: «إن سيارة الاسعاف في طريقها إلينا.»

واستدارت حول إيلسا ثم أمسكت بيدها الثانية.

حدق جاستين في وجهها، كانت تبدو رائعة الجمال، هادئة ساكنة. ولم يكن يخفى عطفها على الفتاة واهتمامها البالغ بها.

تبادلا النظرات، ومنحته لورا ابتسامة كفيلة بأن تنبت الأزهار في الصحراء، وبدا له وكأن تلك الصحراء هي فؤاده.

لقد كانت هي نفسها في هذا الوضع، بطبيعة الحال... فتاة بدون زوج يساعدها ويسندها.

وخطر له أنها كانت سلبته احدى أهم اللحظات التي تمنحها له الحياة. وذبلت الأزهار تلك في فؤاده.

واندفعت غريسيا داخلة بكل كفاءتها، ولم يتذكر جاستين أنه سر يوماً لرؤية امرأة، بقدر ما يشعر به الآن من السرور لرؤية هذه المرأة التي كانت تهتف: «هوذا الطفل في طريقه إلى العالم دون انتظار لأحد.»

الفصل السابع

ربما قد تغير جاستين كثيراً منذ كان ذلك الفتى الذي بلغ من اهتمامه بنفسه أن جعله لا يعبأ بكلمة وداع يلقيها لتلك الفتاة التي احبته، فقد بلغ من استغراق جاستين في ما يحدث أنه تجاهل ألمه. أما بالنسبة إلى لورا فقد أخرج من اعماقها آلاماً طال كبتها، ان جاستين الذي كانت تهتف باسمه مرة بعد أخرى أثناء ولادتها للوسي، جاستين هو هنا يحضر ولادة طفل آخر.

وعلى نحوٍ ما، كان يمثل كل شيء كانت تتلهف إليه من صميم فؤادها الخائف، لشد ما تمنت في ذلك الحين، ان تشعر بقرب جاستين، يشجعها مرحباً بقدوم طفلهما إلى العالم. ولكنه بدلاً من ذلك، كان في الصين يتعلم كيفية الشفاء من الصداع. لقد كان سلبها إحدى اهم اللحظات التي تمنحها الحياة...

أبعدت من ذهنها هذه الخواطر، فليس لديها وقت تمضيه في الاشفاق على نفسها، خصوصاً في هذا الوقت.

حضرت سيارة الاسعاف ودخلت الطبيبة ومساعدتها إلى غرفة إيلسا وطلبتا من الجميع الخروج من الغرفة والانتظار خارجا. وبعد مرور بعض الوقت حسبوه طويلاً، سمع صراخ الطفل وخرجت الممرضة من غرفة النوم وقالت لهم ان بإمكانهم الدخول بعد ربع ساعة. وهكذا، دخل الجميع إلى غرفة إيلسا وعلى وجوههم الفرح والابتهاج.

هتفت غريسيا: «ها هوذا هنا. انه هنا. كم هو رائع الجمال.»

واطلقت لورا ضحكة عالية، انها لم تر غريسيا قط من قبل بمثل هذا الشباب والحيوية. فالسحابة المظلمة تبددت حالما ملأت صرخة ضئيلة ساخطة جو الغرفة.

نظرت لورا إلى وجه إيلسا الذي كان يضيئه نور رقيق صاف، بينما مدت هذه يدها تلامس شعر طفلها الأملس، وبدا وكأن العالم لا يحتوي سواهما، هما الاثنين.

كان جاستين يبتسم وقد تدفقت المشاعر من عينيه المأخوذتين اللتين كانتا مسمرتين على الطفل. ومد يده يلمس الوليد، وبدت هذه ضخمة إزاء ضآلة جسمه. وتحول مظهر القوة العنيدة التي تميز ملامح جاستين عادة، إلى رقة بالغة.

وأخذ جاستين دوره في حمل الوليد دون أن يخفي لهفته لذلك. وكانت حركاته واثقة اكثر منها مستغربة.

رأت لورا انه يحب الأطفال، وهو يضم بذراعيه القويتين تلك الكتلة الهشة من الحياة.

ولكنها عادت تذكر نفسها بأن هذا شيء طبيعي، فكل شخص يحب الأطفال، ولكن ان يعيشوا معهم هو شيء آخر.

وعندما وضعت إيلسا ووليدها على محفة تنقلهما إلى سيارة الاسعاف التي ستسير بهما إلى المستشفى في منطقة ستاندبل لمتابعة الاهتمام والعناية بهما، عند ذلك، التفتت إلى لورا، وقد شعرت فجأة بالخوف، وسألتها: «هل ستأتين معي يا لورا؟»

أجابت هذه: «طبعاً سآتي معك.» فقد كانت مسرورة

لذهابها، فهي لم تشأ ان تبقى وحدها مع جاستين، وقالت تخاطبه: «جاستين، هل لك أن تحاول العثور على لوسي ومن ثم تبقيها معك عدة ساعات؟»

أجاب: «بالتأكيد.»

وأدركت ما الذي فعلته الآن. لقد كانت لجأت إلى جاستين، أول مرة، عندما كانت بحاجة إلى شيء ما. فقد منحته ثقتها. وشعرت بقلبها يعتصره القلق.

قالت غريسيا: «لقد تركتها في المشرب.» وقال احد الممرضين وهم يخرجون إيلسا من الباب: «بالمناسبة، هناك قطة تلد على الأريكة.»

بعد ذلك بعدة ساعات، اتصلت لورا هاتفياً بغريسيا تطلب من يحضرها إلى المنزل، وتطوع جاستين بأخذ لوسي والذهاب لاحضارها.

وفي منطقة ستاندبل، توقفا عند محل للزهور، حيث اشترى باقة ضخمة من الأزهار. وفي الحقيقة، كان قلقاً إذ كان يظن أنها قد لا تتلقى عناية كافية، وحيث ان زوجها كان في سفر، انها أم وحيدة، فقد لا يحتفي احد بقدوم وليدها.

وبعد ذلك وقفا عند محل ألعاب حيث قال لها: «بامكانك يا لوسي أن تختاري هدية للطفل.»

نفخت صدرها زهواً، وأخذت تطوف في المحل تنظر إلى ما هو معروض فيه، بعناية، ووقع اختيارها على دمية تمثل جندياً يحمل بندقية، فقال لها: «ولكن هذه ليست مناسبة لطفل وليد.» وأمسك بيده لعبة محشوة وردية اللون، فقالت: «هذا غباء. فهذه وردية اللون وإيلسا لديها صبي،

والصبيان لا يحبون اللون الوردي.» هل في عصر التحرر هذا مازال للناس هذه الاعتبارات؟ وأمسك بيده فيلاً أزرق يسألها: «وما رأيك بهذا؟»

قالت بعنف وهي تحتضن اللعبة: «كلا. بل أريد هذه.»

قال: «ولكن الطفل لن يحبها، انه مازال...»

قالت بعناد: «بل سيحبها. سيحبها.» ولفظت الكلمة الأخيرة بصوت عال جعل عدة اشخاص يلتفتون اليهما بشيء من الاهتمام والهزل.

قال: «لوسي...»

قالت: «لقد كنت طلبت مني أن اختار بنفسي، أيها الكذاب.» وصرخت بالكلمة الأخيرة وسمع البعض يضحكون. فأغمض عينيه طالباً المعونة.

«لا.. تا.. تا.. تا.. تا...» ففتح عينيه ليرى الجندي الدمية مصوباً بندقيته إلى رأسه مباشرة، فحرك رأسه بسرعة، ثم انتزع الدمية من يدها بعنف بيد واحدة، بينما رفعها عن الأرض بيده الأخرى وحملها تحت إبطه ككرة قدم.

ابتدأت تصرخ: «هذا الرجل ليس أبي...» فألقى الدمية من يده ليضعها على فمها، واندفع نحو الباب، ومن ثم إلى السيارة، ففتح بابها ملقياً لوسي بداخلها في المقعد الخلفي، وعندما رفع يده عن فمها لم تعد إلى الصراخ، فانحنى فوقها وسوى الحزام حولها. فنظرت إليه غاضبة متوعدة، ثم اشارت إليه باصبعها وهي تصيح بغضب: «را.. تا.. تا.. تا.. تا...»

قال: «ليس بامكانك أن تقومي بهذه الضجة في المستشفى.»

«را.. تا.. تا.. تا.. تا...»

عاد يقول: «وإذا انت تابعت القيام بهذه الضجة فسأضعك على ركبتي واصفعك.»

سكتت في الحال.

ثم عادت وقالت: «أمي لن تسمح لك.»

قال: «هل ترين أمك في كل مكان ما؟» فقد شعر بخجل عميق من نفسه، ليس لأنه هدد ابنته بالضرب، ولكن لشعوره بالتفوق والرغبة في ادانة الآباء كلما رآهم يضطرون للجوء إلى ضرب اطفالهم لكي يضبطوا من سلوكهم.

لقد سبق وصفعها مرة، بينما لم يكن مضى على كونه أباً اكثر من اسبوع واحد. فهو لن يستطيع ان يطمع، كما يبدو، بنيل جائزة افضل أب السنوية.

نظر إلى لوسي من خلال المرآة بعد ان رآها هدأت بعد سماعها تهديده.

وأخيراً، فكت الحزام من حولها بصمت وخرجت من السيارة تسير امامه كسجين متمرد.

وصلا إلى قسم الولادة حيث وقفا عند غرفة المواليد، وهناك حملها لكي تراهم، مشيراً إلى طفل إيلسا، ومن ثم اخذا يفتشان عن غرفتها.

كان قد شعر بالقلق من أن لا تكون قد تلقت أزهاراً من أحد، ولكنه لم يكد يجد محلاً لأزهاره. لقد بدا له أن كل شخص في آبل لا بد ارسل ازهاراً لها.

اتراهم فعلوا ذلك مع لورا أيضاً؟ لورا التي كانت جالسة عند سرير إيلسا وقد كسف جمالها جمال كل تلك الأزهار التي تحيط بها؟

قالت لوسي: «لقد رأيت طفلك يا إيلسا، انه غاية في البشاعة.»

هتف بها: «لوسي.»

فاستدارت واخرجت له لسانها، بينما ردت إيلسا عليها بهدوء: «ان المواليد الجدد لا يكونون جميلين، أليس كذلك؟ ولكن انظري، لقد احضر لك الطفل معه هذه الهدية.»

فتحت لوسي فمها دهشة، وتقدمت من إيلسا واختطفت منها العلبة وهي تقول: «لقد كدت أن اشتري أنا له هدية أيضاً، ولكنه...» وألقت نظرة عنيفة على جاستين وهي ستتابع قائلة: «لم يدعني افعل ذلك.»

فتحت العلبة، فنظر جاستين بذعر إلى الجندي الدمية المجهز ببندقية.

قالت لوسي بابتسامة وديعة: «انها ما تمنيت دوماً ان احصل عليه.»

وحالما تحركت السيارة بهم من الموقف، استسلمت للنوم. وتمتم جاستين وهو ينظر إليها من خلال المرآة: «حسناً.. حسناً.»

سألته لورا وهي تنظر إلى ابنتها: «لا بد انها ضايقتك.»

قال حانقاً: «ان كلمة المضايقة لا تعبر عن نصف ما حدث. فقد كادت توقعني بين ايدي الشرطة بدعوى انني لست أباها.»

ضحكت لورا، وضحك هو مكرهاً وقال: «كيف حدث ان للأمهات كل هذا الصبر؟ هل لجنسهن علاقة بهذا؟»

لم تجب. فنظر إليها فوجدها نائمة كابنتها، الاثنتان

بدتا له، وهما نائمتان، كالنسائم الرقيقة، ولكنهما، وهما مستيقظتان، كانتا كالأعاصير. منذ أسبوع واحد فقط، كانت حياته بهيجة خالية من أي تعقيد.

كيف استطاعت لورا تدبير أمرها مع ابنتها كل تلك السنوات؟ وكيف بامكانها ذلك اثناء الاسابيع القادمة حيث أن إيلسا التي ترعى لوسي اثناء عمل الأم، في إجازة ولادة.

تمنى لو ان هذا الأمر لا يخصه.

سألها بعد ان استيقظت عندما أوقف السيارة امام بيتها: «ما الذي ستفعلينه بالنسبة لرعاية لوسي في غيابك؟» كانت لوسي ماتزال نائمة في المقعد الخلفي. بينما بدا العجز على وجه لورا المتوهج. وقالت تجيبه: «لا أدري، فإنه ليس من المفروض ان تستلم إيلسا الطفل قبل اسابيع.»

فتردد قليلاً، ثم سألها: «لورا، من كان بقربك عندما ولدت لوسي؟»

أجابت بهدوء: «صديق.»

قال: «انني مسرور لأنك لم تكوني بمفردك، أرجو انه كان شخصاً مهتماً بك حقاً.»

قالت بلطف: «وهو كذلك. انه جوفيرست.» فشعر وكأنها طعنته بسكين. فسألها متظاهراً بعدم المبالاة: «وما الذي حدث لجو؟»

أجابت: «انه يسكن في منقطة ستاندبل.»

قال: «أوه.»

قالت: «انه يهتم حقاً بأمر لوسي.»

قال: «هذا رائع.» لقد سبق وسرق منه لورا، وسرق تلك

اللحظة، لحظة ولادة لوسي، والتي هي لجاستين وتخص جاستين وحده، وها هوذا الآن سيسرق منه ابنته؟

قال: «سأرعى انا لوسي إلى حين عودة إيلسا.»

قالت له بحيرة: «جاستين، انك لا تدري ما ستقوم به.»

أجاب: «انها ابنتي، وربما هذا وقت التعرف إليها جيداً.»

قالت: «جاستين، انني اعرف ان نيتك طيبة، ولكن...»

سألها: «اتعنين انني لن استطيع التصرف معها؟»

أجابت: «انني اظن فقط ان عليك ان تفكر جيداً بهذا الأمر.»

وبدا هذا الأمر معقولاً، ولكن بالنسبة لشيء يتعلق بلورا، بدا ان العقلانية قد هجرته. لقد اتخذ قراره في هذه اللحظة، وربما ليس بالقرار الصالح. وانبعث من المقعد الخلفي زئير يخيف الأسد نفسه.

وحثه صوت العقل على الاستعجال، فقد يفوت الأوان بعد اسبوع أو اسبوعين عندما تعود إيلسا. وجوفيرست سيجد عدة فرص لكي يظهر مزيداً من الاهتمام بلوسي.

قال: «سأقوم بذلك.»

زمجر الأسد من المقعد الخلفي: «تقوم بماذا.»

قالت لورا: «لقد عرض جاستين العناية بك إلى حين عودة إيلسا.»

فقالت: «انني اكرهه.»

فألقت لورا عليه نظرة تدعوه إلى تغيير رأيه، ولكنه هز رأسه وقد اشتدت قبضته على عجلة القيادة حتى برزت عظام اصابعه.

دخلت لورا من باب بيتها الخلفي، ووضعت كيساً من المواد الغذائية على المنضدة، ثم نادت: «مرحباً.»

ان جاستين يرعى لوسي الآن منذ عدة أيام، لقد كان يقوم بوظيفة فظيعة مهلكة كما بدا للورا، فقد كان الاعياء يبدو عليه في نهاية كل يوم بشكل اكبر من اليوم الذي قبله. واليوم هو السبت، وهذا يعني أنه سيرتاح غداً. وها هي ذي قد احضرت في هذا الكيس كل ما يعبر عن شكرها له. بفتيك سميك، خبز بالثوم، بطاطا، سلطة، فطيرة التوت البري من دون بصمة كف لوسي عليها.

ونادت مرة أخرى: «مرحباً.»

لم تسمع جواباً، ولكنها سمعت صوت التلفزيون.

كانت لوسي مستلقية على بطنها تتفرج على التلفزيون فقالت: «مرحباً.» فردت ابنتها التحية، ذاكرة، اسم برنامج التلفزيون دون ان تنظر اليها.

كان جاستين يغط بنومه على الأريكة، وقد انتشرت على الأرض حوله عدة كتب أدركت لورا أنه اخذها من حقيبة كتبها الخاصة، وقرأت اسماءها، الأبوة. الطفل الصعب. كيف تتحدث إلى الاطفال. وجاءت لوسي تمشي على اطراف اصابعها لكي لا توقظ جاستين. ثم اخذت تنظر إلى وجه أبيها النائم برهة قالت بعدها: «لقد غطيته بنفسي، انه يتعب كثيراً.» واستدارت إلى أمها تقول: «انني احبه كثيراً، هل تحبينه يا مامي؟»

فسألتها أمها متهربة من الجواب: «ظننتك تكرهينه.»

«كان ذلك منذ زمن طويل عندما قال انه سيضربني. انه مازال يقول هذا احياناً، ولكنه لا يفعل.»

وعاد البرنامج الكرتون مرة أخرى، وسرعان ما فقدت لوسي اهتمامها بوالديها.

لو أنه كان أخبر لوسي أنه أبوها، فلا بد ان لوسي كانت ستخبرها.

وعادت لورا إلى المطبخ، وبعد لحظة دخلت لوسي جائعة متعبة، فأطعمتها أمها وغسلت جسدها ثم قرأت لها قصة قبل النوم، هذا ومازال جاستين نائماً.

وضعت لوسي في فراشها، ثم ادخلت البطاطا إلى الفرن لشيها. ونشرت على المائدة غطاء مخرماً وجهزتها لشخصين. وبعد ذلك ابتدأت تصنع السلطة. اطل جاستين بعد فترة، وكان عاري القدمين اشعث الشعر.

سألها وهو يترنح: «كم الساعة؟»

ولما اخبرته، نظر اليها ببرودة. وحدث شيء لقلبها وهي تقف قربه، خاصة وهي تراه بهذه الهيئة، وكأنه ينتمي إلى هذا البيت، كان يبدو جزءاً من الأسرة.

قال: «لم يكن في نيتي ان اجعل النوم يغلبني. يالي من رجل عديم المسؤولية. ربما كانت لوسي احرقت البيت.»

ابتسمت لورا له مطمئنة، وقالت: «لا بأس بذلك يا جاستين، انها تنهض الساعة السادسة صباحاً بينما ابقى انا نائمة، ولم تحرق البيت بعد. انها احياناً تهرب وتقوم ببعض الأعمال المتعبة، ولكنها أشياء بسيطة.»

انتبه فجأة إلى المائدة، فقال: «هل تنتظرين ضيوفاً؟»

جعلت لهجته العنيفة قلبها يقفز من مكانه، فألقت عليه نظرة جانبية وقالت: «نعم، ان لديّ ضيوفاً على العشاء.»

وتجهم وجهه بشكل بالغ، فعادت تقول: «انك ضيفي على العشاء، يا جاستين، وأنا اعبر بهذا عن شكري لك لمعونتك الكبرى لي في الأيام الماضية.»

ولما لانت اسارير وجهه، قالت تسأله: «ما الذي فعلته انت ولوسي، هذا النهار؟» ولما حدثها عن ذلك، شعرت لدى سماعها صوته العميق، بحنين جارف. وبعد ذلك جلسا يأكلان.

قال لها: «هذا الطعام لذيذ جداً يا لورا.»

قالت: «انني مسرورة لاستمتاعك به.»

قال: «انني اعرف ما يعوزنا.»

لقد جاء في الصباح الباكر وشعره مازال مبللاً من الحمام. وكان هنا ليلة أمس. لقد امتلأ بيتها بوجوده، بضحكاته... كما كان عقلها مليئاً به. ولم تكن تستطيع الكف عن التفكير به اثناء عملها اليومي.

عندما كانت اصغر، كانت تظن تلك العواطف حباً، ولكنها الآن امرأة ناضجة. فهي تستطيع بالتأكيد الفصل بين الاثنين.

ورفعت إليه عينين افصحتا عما تفكر فيه، وفهم هو ذلك.

نظر وراءها فرأى على الجدار تلك اللوحة، وكانت قد استعادتها من كارلا وعلقتها في المكان المناسب به ربما بكل سذاجة، انه لن يراها فيه ابداً.

نظر اليها طويلاً، فابتسمت له، وهمس يقول: «ما اجملك يا لورا، انك رائعة.»

وغنى قلبها وهي تهمس: «جاستين...»

وتصاعد من غرفة لوسي صوت مذعور يصرخ: «مامي، يوجد غول في غرفتي.»

الفصل الثامن

تمتم جاستين يقول: «هذا حسن، يوجد غول في الغرفة الأخرى.»

وأسرعت لورا بالنهوض ودخلت إلى غرفة ابنتها. كانت لوسي جالسة على سريرها تشير بعصبية بالغة إلى بقعة على الجدار وهي تصرخ باكية: «ها هوذا، يا مامي.»

قربت الأم وجهها إلى البقعة تتظاهر بامعان النظر، ثم قالت: «آه نعم، إنني أراه.» ثم أخذت منديلاً وتظاهرت انها تزيل به شيئاً عن الجدار، ثم لفته في المنديل ووضعته في جيبها.

عادت لوسي تنام على الوسادة وتغمض عينيها قائلة: «أووووه... شكراً يا مامي.»

عادت لورا إلى غرفة الجلوس لترى جاستين جالساً هناك. وقال لها عابساً: «هيا، اجلسي معي. أود التحدث إليك.» فتقدمت لتجلس على مقعد بجواره وهي تضحك.

«مامي، أريد ان اشرب.»

قال لها بوجه متجهم: «قولي لها أن تشرب بنفسها.»

ولكن لورا لم تشأ ان تنهض ابنتها من سريرها، واستدارت وهي تتنهد، شاعرة بعيني جاستين تتبعانها، فهمست: «سأعود حالاً.»

وضع ذراعه على جبهته مسمراً عينيه في السقف وقد كسا الألم ملامحه. فقالت تعده: «ساسرع في العودة.»

وبعد ان شربت لوسي كوب الماء إلى آخره، بكل تمهل، قالت: «هل استطيع ان احصل على كعكة آكلها؟»

قالت الأم: «كلا، انه منتصف الليل الآن.»

عادت الابنة تقول: «هل تقرأين لي قصة؟ انني لست نعسانة ابداً و...»

قاطعتها الأم بعصبية: «كلا.»

قالت الابنة: «لا بأس. لا تصرخي.» وادارت ظهرها لأمها وهي ترفع الغطاء إلى ما فوق رأسها. وعادت لورا إلى غرفة الجلوس، وكان جاستين ما زال في مكانه. وقال لها: «اقتربي يا لورا.»

قالت لجاستين بصوت جامد: «ربما الأفضل ان تذهب إلى بيتك الآن.»

قال: «لا اظنك تعنين ما تقولين.»

تناولت لورا مجلة وبدأت تتصفحها آملة أن يفهم من الإشارة، فيسكت، ولكنه بدلاً من ذلك، وقف مغادراً الغرفة وهو يزمجر قائلاً: «سأعود بعد فترة.»

أخذت تستمع، وقلبها يخفق، ان كان الباب الأمامي سيغلق، ولكنها لم تسمع شيئاً، وبعد فترة، سكنت حركة لوسي في غرفتها، ولم يعد جاستين، فذهبت وغطت ابنتها جيداً، ثم راحت تبحث عنه. وجدته في المطبخ وقد ارتدى سترته.

قال: «انني اصنع فنجاناً من الكاكاو، هل تريدين أن تشربي معي؟»

قالت: «لا بأس.» وجلست إلى المائدة.

سكب الكاكاو في فنجانين ثم تقدم من المائدة جلس

أمامها، وأخذ رشفة من فنجانه، ثم اعاده إلى المائدة وعيناه في عينيها، سألها: «هل كل الأولاد متعبون إلى هذا الحد، أم هي فقط؟»

خمس سنوات مضت وهي تقوم بكل ما يجعلها أماً صالحة. خمس سنوات ولديها اكثر الأطفال صخباً. خمس سنوات من التعامل مع طفلة لا تقبل إلا بارتداء ثلاثة أشياء ولا تأكل الا المعكرونة بالجبن.

عاد جاستين يطلب الجواب بهدوء: «حسناً؟» ولم تشأ ان تجعله يدرك مبلغ وحشتها وتشوش حياتها. فقد كان آخر ما تريده من جاستين كارترايت هو الشفقة.

كانت ابنتها بهذا الشكل لأنها لم تعرف كيف تمنح ابنتها ما هي بحاجة إليه، فقد كانت لورا تشعر ان الطفلة بحاجة ماسة إلى أب.

لم تكن تريده أن يلمس مقدار ضعفها. فقالت تتعمد البرود: «ان لوسي عنيفة المشاعر جداً، ولكنها ابنتي وأنا احبها كما هي.»

قال: «هل تلمحين إلى انني لا احبها؟»

قالت: «انك تريدها ان تكون ككل طفل آخر، ولكن الأطفال ليسوا متشابهين.» كانت على وشك الدخول في شجار معه لأجل لوسي. ولكنها شعرت بأن هذه الحجة ليست حقيقية تماماً. فقد كان غضبها، في الواقع، لأنه طلقها واختفى كل تلك السنوات ولكن كرامتها كانت تمنعها من الاعتراف بذلك.

وعادت تقول: «يبدو ان في أذهاننا دوماً صورة للطفل كما ينبغي أن يكون وهو ان يكون سعيداً، طليقاً من كل هم، مطواعاً، متعاوناً...»

قال: «أرى أن هذا ما ينبغي ان يكون.»

قالت: «ولكن بعض الأطفال ليسوا كذلك، وعلينا ان نتقبل هذا. فابنتي ليست ذات طبيعة مشرقة. وهي ليست سعيدة خالية البال، كما انها صعبة المراس وقوية الإرادة إلى درجة بالغة.» وكانت تعلم أنها تدافع عن ابنتها.

قال: «انها كالتيس عناداً.»

قالت: «هذا الكلام لا يفيد بشيء.»

قال: «حسناً، وما الذي يفيد اذن؟ ان هذا ما احاول ان اعرفه يا لورا. كيف تعيشين مع لوسي يوماً بعد يوم دون ان تشعري بالغيظ الذي يدفعك إلى أن تتمني، أربعين مرة في اليوم، لو تخنقينها؟»

قالت: «جاستين.»

«انني اقول الحقيقة. ألا تستطيعين مواجهة الحقيقة؟»

قالت: «انني فقط لا انتظر ذلك منك.»

قال: «ما معنى هذا؟»

قالت: «معناه أنه لماذا ابدد وقتي وطاقتي في سبيل مساعدتك على التآلف مع لوسي مادمت غير مقيم في هذا البلد؟ مادمت سترحل وتحطم قلبها؟ وها ان التصدع قد ظهر بينكما، أليس كذلك؟ فهي ليست كاملة الأوصاف لكي تعجبك.»

قال: «ليس هذا ما قلته.»

قالت: «أحقاً؟ ولكن هذا ما سمعته منك.»

قال وقد تلاشى الغضب من صوته: «اتعلمين يا لورا. انني لا استطيع فهمك؟ ولندع لوسي جانباً، ففي كل مرة يبدو ان الصلة ابتدأت تتوثق بيننا، ننتهي بمشاجرة. ما

الذي يخيفك إلى هذا الحد من توثق الصلة بيننا؟»

«انني لا اريد توثيق صلتي معك، ياجاستين.»

قال: «ان جوابك هذا يشوش الأمور يا لورا. عندما تصنعين عشاءً لرجل، فهو سيأخذ عنك فكرة انك تريدين توثيق صلتك به.»

قالت بحدة: «هذا ليس صلة وثيقة. انه مجرد ارتياح.»

شحب وجهه وقال: «لقد سبق وقلت مرة قبل الآن، ان هذا كل ما بيننا، وقد ابتدأت اتساءل عما إذا كان هذا النوع من الصلات هو كل ما بامكانك تقديمه.»

وقف مزيحاً كرسيه بعنف، فانقلبت هذه على الأرض، فانحنى يعيدها إلى مكانها بنفس العنف، ارادت ان تقول له كم هو مخطىء. وكم كان حبها له عميقاً. وأنها ليست مثل أمها.

حنت رأسها، وبعد فترة طويلة، قالت تخترق الصمت بصوت متهدج: «إذا كنت متذكراً، منذ ست سنوات، ان ما بيننا كان اكثر من ارتياح وانجذاب، فلماذا طلقتني ورحلت؟»

ولما لم تسمع جواباً، رفعت رأسها، كان المطبخ فارغاً، ونظرت من النافذة إلى الخارج. كان جاستين قريباً من نهاية الشارع، وكانت خطواته واسعة غاضبة.

لم يكن قد سمع جوابها، وفجأة، برز شبح من بين الظلال عرفت فيه غليندا، ورأتهما لورا يقفان ثم يتبادلان عدة كلمات. ثم وعلى غير توقع إذا بجاستين يسير معها.

فجذبت لورا ستارة النافذة بعنف كاد يقتلعها من مكانها، وهي تشعر بخفقان قلبها يعلو وعينيها تلتهبان غضباً.

سألته لوسي: «هل تخاصمتما أنت وأمي؟»

أجاب: «كلا.» وكان يرى أن الخصام افضل من الحرب الباردة.

قالت: «ان وجهيكما متجهمان مرة أخرى.» كان ذلك صباح الاثنين، وكان قد جاء لرعاية لوسي، فقد كان رجلاً يحافظ على الوعد. لقد وعد برعاية لوسي، وسيبقى على كلمته.

لقد بدت الدهشة على وجه لورا حين رأته. ولكن مظهر الدهشة هذا لم يدم سوى عشر ثوانٍ ليعود، بعد ذلك وجهها إلى جموده.

قال: «ان الوجه المتجهم هكذا شكله.» وعبس وكشر عن انيابه.

فاتسعت عينا لوسي باعجاب، وأخذت تجرب ان تحذو حذوه بعدة اشكال.

ثم اسرت إليه قائلة: «كانت أمي حزينة جداً طيلة أمس.»

سألها وهو يفكر في أن الذنب ننبها: «أحقاً؟»

أجابت: «نعم. لقد دخلت إلى الحمام وأخذت تبكي.»

سألها: «وكيف علمت بذلك؟» ان بكاء لورا في الحمام كان عقوبة أكبر مما كان يريده لها.

أجابت: «لقد سمعتها، فصرخت من وراء الباب، مامي، ما بك؟ فكذبت عليّ قائلة لا شيء.»

قال: «هذا فقط لأنها لا تريدك ان تقلقي لأجلها.»

قالت: «حسناً، لكنني قلقت عليها طوال الوقت.»

قال: «أحقاً؟»

قالت: «لا بد ان المرأة الكبيرة تشعر بالوحدة إذا كان معها بنت، خصوصاً إذا كانت البنت مثلي.»

سألها بحذر: «ما معنى هذا؟»

«انك تعلم انني لست بنتاً طيبة.»

قال: «أحقاً؟»

قالت: «نعم. فأنا احاول وأحاول ولكن تصرفاتي تأتي سيئة.»

قال: «نعم، احياناً.»

قالت بأسف: «مثلما حدث ذلك النهار في متجر الألعاب. هل اخبرك بسر؟»

قال: «طبعاً.»

قالت: «انني لم أكن أنوي اخذ الجندي الدمية للطفل. كنت اريدها لنفسي، ففكرت ان آخذها للطفل فلا يأخذها هو، فآخذها أنا.»

قال: «اتعلمين يا لوسي؟ ان قيامك بتصرفات سيئة احياناً لا يعني انك فتاة سيئة.»

حملقت فيه قائلة: «ها أنت تتكلم مثل أمي.»

قال: «لأننا نحن الاثنين نعلم ان هذا صحيح.»

قالت: «على كل حال، ان تصرفاتي السيئة هذه ليست بيدي. لقد حاولت وحاولت، واحياناً في اليوم الذي احاول فيه أن اكون طيبة، اتصرف كأعنف ما يكون، واصبح أنا سيئة جداً. انني اكون طيبة، وطيبة، وطيبة، وإذا بي فجأة اصبح كالمجنونة.»

كانت ملامحها الآن بالغة الرصانة. وكتم هو ضحكة، وقال: «اتعلمين ماذا، يا لوسي؟ أظن انك عندما تكبرين، ستتخلين عن كل التصرفات السيئة، هذا ما يحدث لأكثرنا.»

سألته بلهفة: «وهل كنت انت ولداً سيئاً؟»

أجاب: «احياناً.»

قالت: «آه، هل بامكانك أن تخبرني كل شيء عن هذا؟ هل حاولت مرة ان تربط ذيل قطة في السياج؟»

فقال: «كلا بالطبع. هل تفعلين انت هذا؟»

أومأت برأسها قائلة: «لقد جربت مرة فلم انجح، ماذا كنت تفعل من الأشياء السيئة؟»

فقال: «لقد دهنت مرة كاراجاً ابيض بزفت اسود، كان العمال قد تركوه في الطريق.»

سألته: «هل صرخت أمك عليك؟»

أجاب: «لقد ضربني أبي.»

قالت بسرور: «هذا هو الصواب.»

قال: «هذا هو الصواب؟»

«هذا هو السبب في أنني اظن ان على أمي أن تتزوج.»

قال: «تتزوج؟»

قالت: «نعم، انني بحاجة إلى بابا، وهكذا لا تشعر أمي دوماً بالمسؤولية، ان عليها أن تكون مع شخص آخر كبير يرافقها دائماً.»

سألها: «وهل في ذهنك شخص ما؟»

أجابت بلهجة لوم: «انك تعلم أن عندي واحد، انه أنت.»

قال: «أنا؟ اظن لا بد ان لديها اشخاصاً تحبهم اكثر مني. ما رأيك في جو فيرست؟» وشعر فوراً بالخجل من نفسه إذ ليس من اللائق ان يستدرج طفلة للادلاء بمعلومات.

أجابت: «العم جو؟ انك احمق، فهو متزوج.»

قفز قلبه في صدره وقال: «متزوج؟»

قالت: «نعم وعنده طفلة شديدة البشاعة مثل طفل إيلسا.»

قال: «أحقاً؟»

قالت: «ثم أنها لم تحضر لي هدية.»

قال: «ما أسوأ هذا.» وفكر في أن طفلاً جديداً يعني ان العلاقة متينة بين جو وزوجته.

قالت: «هل نذهب إذن ونسأل غريسيا كيف يمكنك ان تخطب أمي؟ أم أننا فقط نخرج ونشتري لها أزهاراً وشكولاتة؟»

قال: «دعينا نكتفي بالأزهار والشكولاتة.»

ابتسمت له لوسي. ووضعت يدها في يده وهي تقول: «ربما أنا من سيأكل اكثر الشكولاتة، ان أمي لا تحب ان تصبح سمينة.»

لقد كانت لوسي على صواب تام. فلورا بحاجة إلى ان تتزوج.

توهجت هذه الفكرة في نفسه مرسلة تألقها واشعاعها من تحت الاحباط والاضطراب. انه لم يتوقف قط عن حب لورا، رغم محاولاته في سبيل ذلك خلال تلك السنوات الست، فهو لم ينجح في ذلك مطلقاً، وربما لن ينجح. انها بحاجة إليه. بحاجة إلى رجل تتحدث إليه وتضحك معه، وتحبه.

تذكر والدة لورا، كانت امرأة رائعة الجمال، وشديدة الشبه بابنتها في المظهر، ما عدا ان الابنة كانت مرحة. اما الأم فكانت مادية، تكثر من التبرج، وهكذا، عندما وقعت لورا في الحب، لا بد اخافها ذلك حتى الموت، ثم عاد يخيفها بهذا الشكل الآن.

كان هذا هو رأي جاستين، وهو الآن يعرف ما عليه ان

يفعل. انه سيطلب من لورا أن تتزوجه، ولكنه لن يأتي على ذكر الحب.

انه سيتحدث عن لوسي وعن حاجتها الماسة إلى الحب، انه سيضع قدمه اولاً على الأرض. هذا ما عليه ان يفعل. ثم مع مرور الوقت، ستتحرر لورا من عقدتها ضد الحب.

كان يريد ان يكون زوج لورا ثانية.

قطع عليه افكاره صوت لوسي يقول: «انك تصفر بشفتيك جيداً، يا جاستين، تماماً بالجودة التي تغني بها أمي.»

وادرك انه كان يصفر بفمه نفس النغم الذي تغنيه أمها. متى تعلم أن يصفره؟

سألته: «ايمكنك أن تعلمني إياه؟»

فابتسم قائلاً: «طبعاً يا حبيبتي. انما بعد ان نشتري الشكولاتة والأزهار.»

«انني آسفة لتأخري. فالسيارة التي تأخذ الفطائر والمعجنات إلى دروبس قد تأخرت.»

ولكنها لم تتلق جواباً. فسارت إلى المطبخ تفتش عن جاستين. ذلك انها حتى عندما يكونان متخاصمين فان رؤيته تملؤها بانتعاش مؤقت، وحنين. ولكنها ذكرت نفسها كيف خرج من عندها مباشرة إلى غليندا، تماماً كما فعل منذ ست سنوات.

كان جاستين ولوسي جالسين إلى المائدة يلعبان على لوحة اللعب. فنظر الاثنان إليها ثم ابتسما ابتسامة اكثر من العادة، وساورتها الشكوك، هل حدث شيء غير عادي؟

بدا الاثنان بحالة نظيفة أنيقة. وقد ارتدت لوسي ثوبها الأحمر والذي كانت تكرهه.

وقفت لورا واضعة يديها على خاصرتيها وهي تقول: «حسناً، ما عندكما؟»

فرد الاثنان ببراءة: «وماذا عندنا؟»

أخذت تمعن النظر فيهما عدة ثوانٍ بعد أن عادا إلى اللعب، وما لبثت لوسي أن غرقت في الضحك.

قالت لورا: «وما هذه الرائحة؟» واستدارت نحو المنضدة لترى دزينة من الورود الناصعة البياض قد وضعت في زهرية.

قال جاستين: «انها البيتزا، لقد أحضرت بيتزا للعشاء هذه الليلة.»

أدارت رأسها إلى الورود بالرغم عنها. فتقدمت نحوها تلمس أوراقها، ثم دست أنفها في وردة منها، ووقعت نظراتها على علبة بجانب الورود، كانت علبة شوكولاتة ضخمة فاخرة وقد ربطت بأناقة بشريط أبيض.

وأخيراً وقفت عاقدة ذراعيها فوق صدرها، وقالت: «حسناً، ما الذي يجري هنا؟» ولكن جاستين كان بمفرده.

فسألته: «أين ذهبت لوسي؟ ما الذي فعلته؟»

فأجاب: «لا شيء يا لورا. لقد ذهبت لتلهو في غرفتها قليلاً.»

عادت تسأله: «وما سبب كل هذا يا جاستين؟ ورود، وشوكولاتة، وبيتزا؟»

قال: «هذه محاولة مني لايجاد جو مناسب.» شعرت بالقلق، وسألته: «لأجل ماذا؟»

نهض عن كرسيه وتقدم منها، ثم نظر في وجهها وابتسم، لو انها كانت نفس الفتاة الصغيرة الساذجة التي

كانتها يوماً، لصدقت ما بدا لها في عينيه من رقة واهتمام.

ثم مد يده إلى جيبه يخرج علبة صغيرة، فحدّقت فيها دون أن تمد يدها إليها، ففتحها وأخرج منها خاتماً، كان خاتماً رقيقاً يتألق ذهبه الذي كان يتوسطه ماسة براقة.

وضع الخاتم في اصبعها، فكان مناسباً تماماً.

نظرت إليه وشعرت بقلبها يكاد يكف عن الخفقان، كما انحبست انفاسها. كان اجمل خاتم وقعت عليه عيناها.

قال: «اريدك ان تتزوجيني، يا لورا.»

كانت الكلمات خافتة رقيقة. ولم تستطع النظر إليه. فتحولت عنه، ولكنه لم يكن هنالك مكان تهرب إليه، وقفت بجانب حوض الغسيل تتمسك بحافته، ورأت يديها قد ابيض لونهما ما جعل الخاتم يبدو أروع جمالاً.

«لورا، إني اعلم أنني فاجأتك بهذا، ولكن لو انك فكرت لوجدت ان هذا هو الأفضل لنا، لأن لوسي بحاجة إلى أب. انها بحاجة ماسة إلى أب.»

أغمضت لورا عينيها لا تريد ان يبدو فيهما الألم الذي تملكها.

ذلك أنها ظنت، للحظة واحدة فقط، أن الخاتم كان يعني ان الأمر كان حقيقياً، وأنه عندما قال لها منذ ست سنوات (سأحبك دوماً) كان يعني ما يقول، وأنه حاول أن يتجاهل عواطفه فلم يستطع.

«فكري في هذا يا لورا. انه سيكون حسناً بالنسبة للوسي، وكذلك سيكون حسناً لأجلنا.»

فلم تقل شيئاً وهي تجاهد الألم الذي تملكها. لقد بدا لها الأمر وكأنه يعرض صفقة عملية عليها. هكذا هو

جاستين، انه بهذا سيكون متزوجاً وحراً في وقت واحد.

وقال لها مازحاً: «انني اعرف كيف اشفي الصداع.» ولحسن الحظ خلا صوته من المزاح.

كان هذا آخر ما بامكانها احتماله. أتراه سيأتي على ذكر ضعف صمودها أمامه، وأنها شبيهة بأمها، واستدارت ثم اخذت تخرج الخاتم من اصبعها، وهي تقول بأشد ما أمكنها من الخشونة، تغطي بذلك الجرح الذي شعرت به: «انني لن اتزوجك ولو كنت آخر رجل على وجه الأرض.»

«لورا...»

«بتاتاً...»

«لورا...»

ناولته الخاتم، وفكرت نادمة، لماذا لم تقل له نعم؟ وماذا يهم السبب الذي سيتزوجها لأجله مادام سيكون لها؟

ولكن الغضب ما لبث ان تملكها لضعفها هذا. نعم، ان السبب مهم. وأخذت تصرخ: «ابتعد من هنا، اخرج من بيتي، ولا تعد ابداً.» كانت ثائرة، ألن يكف هذا الرجل عن ايلامها ابداً؟ وكانت ملامحه قد سادها التبلد وجمود المشاعر كلياً. وأشاح هو بوجهه عنها مبتعداً، ولكنه توقف بشكل مفاجيء جعلها تنظر إلى ما أوقفه.

كانت لوسي تقف في باب المطبخ، ووجهها الشاحب ينطق بالعذاب. وكانت دموع صامتة تنحدر على خديها.

وساد صمت اخترق قلب لورا كطعنة سكين. لقد انخفضت كتفا لوسي الصغيرتين داخل ثوبها الجميل، وسقط رأسها على صدرها. وبدت كدمية صغيرة محطمة وهي تستدير هاربة منهما نحو غرفتها.

ركضت لورا مجتازة جاستين، وهي ترمقه من فوق كتفها بازدراء قائلة: «انظر ماذا فعلت.»

رفع وجهه وقد تصاعد الشرر من عينيه، وهو يقول بهدوء: «ماذا فعلت أنا؟ بل هذا ما فعلته أنت، يا لورا ويفير.»

نزلت لورا إلى القاعة في الوقت الذي اقفلت فيه لوسي عليها باب الحمام من الداخل.

هتفت بها أمها: «لوسي، دعيني أدخل.»

رد عليها صوت خافت متهدج: «اريد ان ابقى وحدي. اتركيني وحدي يا مامي.»

وسمع الباب الخلفي يصفق. فهبطت لورا على الأرض ضاغطة بظهرها على جدار الردهة، ورفعت ركبتيها ووضعت وجهها بينهما، ثم اغمضت عينيها والألم يحرق نفسها كالجمر.

ما الذي فعلته، يا لورا ويفير؟

حاول جاستين أن يسير ليتخلص من الغضب الذي يتملكه. يا لهذه المرأة كم أغضبته.

جذب الهواء البارد إلى رئتيه، ان سقوط الثلج مبكر هذا العام في آبل. وقريباً جداً سينتهي موسم التوت البري، وستصفر اوراق الشجر. لقد كان رحل عن آبل في مثل هذا الوقت من السنة تقريباً، وها هوذا يفكر بالرحيل مرة أخرى.

انها لم تقل كلا فقط، ولكنها احتقرته.

وشعر بحماقته وجنونه وهو يجعل التاريخ يعيد نفسه. لقد عاد فوقع في حب تلك المرأة المربكة المثيرة للسخط، مرة أخرى، وتركها تفعل به نفس ما فعلته من قبل.

انها، هذه المرة على الأقل، قد ابدت له احتقارها مواجهة بدلاً من ان تجعله في خبر ترسله إليه مع صديقتها.

نعم، ان عليه أن يرحل عن آبل.

وأدهشه الألم الذي شعر به لذلك. فهو يشعر هنا أنه في موطنه، وهو شعور كان يبحث عنه طوال الأسفار التي قام بها. شعور حاول ان يحس به بالنسبة إلى ستاندوفر فلم يفلح.

لقد كانت آبل هي المكان الذي يوجد فيه قلبه، ولكنه لا يستطيع البقاء هنا، فالألم المتسبب عن حبه لها لم يتبدد تماماً بعد، رغم السنوات الست والثلاثمائة ميل التي تفصل بينهما. ولكنه هناك ألماً بليداً فاتراً، على الأقل، كامناً في الخلفية من حياة تعمد أن يجعلها مليئة مزدحمة بالأعمال، اما هنا فالألم لا يحتمل.

وترك الغضب يغسل الجرح الذي يشعر به، وأخذ يمشي ويمشي، ثم ذهب إلى بيته وابتدأ يلقي بأشيائه في حقيبته.

فهو سيرحل في الصباح الباكر.

وأدرك أنه سيشتاق إلى لوسي، ولم يشأ أن يرحل دون أن يراها مودعاً، ولكنه لا يستطيع ان يرى لورا مرة أخرى. فهو يريد أن يرحل محتفظاً ببعض الكرامة.

تلك المرأة الباردة القلب، العديمة المشاعر، وعلى كل حال، أي نوع من الرجال هو ذلك الذي يقع في غرامها؟

بالنسبة إلى لوسي، فهو سيترك لها شيئاً خاصاً تتذكره به، ثم يتصل بها من ستاندوفر كل يوم.

انه يعرف بالضبط ماذا سيترك لها. انها واحدة من قطيطات إيلسا. وابتسم من خلال ملامحه المتجهمة، إنه

اختيار صائب، ولوسي ستحب ذلك، كما ان لورا ستكرهها، لأن في كل مرة يقع فيها بصرها على هذه القطيطة، ستتذكره ويتملكها الغضب. هذا حسن، فإذا هي لم تحمل نفسها على حبه، فهو سيترك لها، على الأقل، ما يذكرها به ويثير غيظها، وما يجعلها تذكره يومياً.

وعندما صمم على هذا، ارتدى سترته وخرج متجهاً إلى منزل إيلسا حيث كان بإمكانه سماع صراخ الطفل في الداخل.

وعندما فتحت له إيلسا الباب، كان التعب يبدو على وجهها المشرق.

هتفت لدى رؤيته: «جاستين، ما أشد سروري برؤيتك.» ثم ناولته الطفل وزجاجة الحليب.

شعر بدفء الطفل الذي عبقت منه رائحة حلوة، واخذ يعب الحليب بشراهة ونظراته العنيفة مسمرة على وجه جاستين.

لو أنها كانت قالت نعم، لكان ممكناً أن ينجبا طفلاً آخر كهذا.

وبسرعة اعاد الطفل إلى أمه قائلاً: «عليّ أن أرحل غداً.»

قالت: «ماذا؟ كلا، لا ترحل يا جاستين.»

قال بهدوء: «لا بد من ذلك. وقد جئت اليك طالباً إحدى قطيطاتك لأجل لوسي.»

نظرت إليه إيلسا متأملة، ثم سألته: «هل أنت والد لوسي؟»

أوما ايجاباً، كان يحب أن يخبر لوسي بنفسه أنه ابوها، جاعلاً من هذا هدية لها.

انه شيء آخر سلبته إياه لورا.

وهو لن يراها شخصياً، مرة أخرى إلا بعد مدة طويلة.

قالت إيلسا: «لقد كانت لورا أوضحت تماماً أن لوسي غير مسموح لها باقتناء قطيطة.»

قال: «انني بحاجة إلى أن اترك لها شيئاً... شيئاً فوق العادة، وأنا اعتمد عليك في أخذ القطيطة لها.»

قالت باسمة: «لا بأس، ادخل واختر واحدة.»

اتجه نحو السلة، كانت القطيطات الآن، رائعة الجمال، ناعمة سمينة طويلة الوبر.

وكانت واحدة منها بيضاء تماماً ذات دوائر سوداء حول عينيها، قال بلطف: «هذه.» وتمنى لو يكون موجوداً ليرى وجه ابنته عند ما تتلقاها. لقد كانت فتاة طيبة حقاً. فهي لم تطلب واحدة من القطيطات رغم تلهفها للحصول عليها.

ترك إيلسا واخذ يطوف شوارع آبل لآخر مرة، وفي النهاية، افلح في ان يستنفد طاقته، فعاد إلى البيت، ذاهباً إلى سريره.

وفي الصباح ألقى آخر نظرة حول المنزل، ثم وضع آلة الحلاقة بين امتعته بدون أن يستعملها، ثم اقفل حقيبته بعنف.

ثمة من يطرق الباب.

فتحه، فكانت لورا.

ومرت لحظة مجنونة حافلة بالأمل في أن تكون قد غيرت رأيها.

هتفت به: «جاستين، هل لوسي هنا؟»

أجاب عابساً وهو يعقد ذراعيه فوق صدره: «كلا.»

قالت بصوت متهدج: «جاستين، ان لوسي مفقودة.»

الفصل التاسع

«أدخلي يا لورا.»

كانت ترتجف، فقد أثار ذعرها أن رأت النظرة الباردة تختفي من عيني جاستين.

دخلت إلى المنزل وهي تنظر إلى التفاصيل التافهة. كان جاستين يبدو مرهقاً. وكان ذقنه غير حليق كما كان قميصه غير مكوي. ثم حولت نظراتها عنه بعيداً. كان المنزل قد ابتدأ يتحسن، ثم وقعت أنظارها على حقيبتي السفر وقد انتفختا ما يؤكد بأنه على أهبة السفر.

سألها وقد بان القلق في عينيه: «ماذا تعنين بقولك إن لوسي مفقودة.» ورأت حبه للوسي واضحاً في عينيه. وكان الذعر الذي استبد بها منذ الساعة السابعة هذا الصباح قد زاد من شعورها بالوحدة، وشعرت بأنها مع الشخص الثاني في العالم الذي من الممكن أن يحب لوسي كما تحبها هي.

استقرت عيناها على حقيبتي السفر، وانتقل تفكيرها إلى ذلك الانسجام الذي شاهدته بينه وبين غليندا. ربما لم يكن ذلك سوى تصورات. ولكنها كانت بحاجة إلى حجة تتعلق بها، وجذبت نفساً عميقاً.

قالت: «عند استيقاظي من النوم هذا الصباح، لم تكن لوسي في البيت، فاتصلت بكل الأمكنة التي اعتادت الذهاب إليها، ثم ظننت أنها ربما تكون قد جاءت اليك.»

قال: «لو كان حدث ذلك لاتصلت بك هاتفياً.»

كان في صوته تلميحاً رقيقاً إلى أنه يقوم دوماً بالأمور الصائبة، وذلك لكي تثق به.

وأدركت هي أنها كانت توليه ثقتها أحياناً، بالنسبة إلى لوسي، وذلك في الأسابيع القليلة الماضية، وكانت تعلم أن علاقته بابنته الصعبة المراس كانت فائقة وغير عادية. وكانت تعلم أنه لن يسبب الألم للوسي كما سببه لها طيلة السنوات الماضية، فهو لن يستطيع أبداً أن يترك لوسي دون أن يستمر في تفقدها. حسناً، إن الدم أثقل من الماء.

ولكن المنظر الذي كانت شاهدته، والحقائب الجاهزة التي عند الباب لا تسمح لها بوضع ثقتها فيه بالنسبة إلى نفسها.

والآن، ها هو ذا راحل. لقد كانت تعرف دوماً أن هذه اللحظة ستأتي، فلماذا يتملكها هذا الشعور؟ إن كون شخص تحبه قد فقد، وآخر قد تهيأ للرحيل، قد جعل عالمها الذي أنشأته بكل عناية، تميد أرضه من تحت قدميه.

سألته دون أن تتمكن من إخفاء الخوف في صوتها: «أين تراها ذهبت؟»

اقترب منها وقال: «سنعثر عليها.» وشعرت بقواها تتلاشى وأنها بحاجة إلى أن تستمد منه القوة مؤقتاً.

قالت: «إنني خائفة يا جاستين، فهذا ليس من عادتها. أعني أنها اعتادت الخروج من المنزل والقيام بأعمال شقية، ولكن مكانها يكون معروفاً دوماً، فهي إما أن تذهب إلى المقهى وإما إلى منزل إيلسا وإما لسرقة عدة زهرات من حديقة غريسيا. فهي لا تختفي بهذا الشكل. أخبرني، ما الذي علي أن أفعله؟»

أجاب مصححاً كلامها بلطف: «ما الذي علينا أن نفعله؟»

عضت شفتها قائلة: «نعم، علينا.»

لم تجد صعوبة في أن تقول ذلك كما كانت تظن، لقد شعرت وكأن عبئا ثقيلاً قد انزاح عن ظهرها. شعرت بأنها، بعد كل تلك السنوات التي جاهدت فيها وحدها، بأنها قد وجدت من يشاركها ذلك العبء.

نظر في ساعته ثم قال: «إنها الثامنة فقط، فلماذا لا ننظر إلى المسألة نظرة عادية؟ ربما لم يخرج الأمر عن أنها ذهبت لزيارة مكان ما، ونسيت أن تخبرك.»

أجابت: «إنها لا تفعل ذلك، فهي تعلم أنه غير مسموح لها التكلم إلى الغرباء.»

قال: «وهل يوجد في كل هذه المدينة من يعتبر غريباً؟»

أجابت: «جاستين، ألم تسمع قط عن حدس الأمهات؟»

فأومأ برأسه، فعادت تقول: «لقد حدث شيء ما.»

لقد أمضت لوسي ليلة حزينة، وأخذت تبكي حتى نامت، دون أن تقبل أي مواساة أو تهدئة.

نظرت إلى قسماته الوسيمة. كلا، إنها تريد ألاّ يقتصر جاستين على حبها هي وحدها، فلو أنها شاءت ذلك لكانت أخبرته عن ابنتهما منذ وقت طويل.

قال: «لماذا لا نجند كل من نعرف للبحث في البيوت أو اجراء اتصالات هاتفية، بينما تمكثين أنت في المنزل في انتظار من يأتي بخبر عنها؟»

قالت: «لا يمكنني البقاء في المنزل وحدي.»

قال: «إن بامكان غريسيا أن تمكث معك.»

ولكنها كانت تريد من جاستين أن يمكث معها، لم تكن

تريد أن تدعه يذهب، إن بينهما رباطاً، يبدو أكثر من مجرد كونهما يشتركان في طفلة.

قالت موافقة: «نعم، إن بامكان غريسيا أن تمكث معي.»

وعندما عادت إلى بيتها، كان الوقت ظهراً، ولم تكن قد أمضت قط من قبل، أربع ساعات في مثل هذه التعاسة العاجزة. وعندما سمعت وقع خطواته امتلأ قلبها بالأمل الذي سرعان ما تبدد لدى رؤيتها الجواب على وجهه.

لم تشعر قط من قبل بمثل الخوف الذي شعرت به في هذه اللحظة، ووضعت رأسها بين يديها وانخرطت في البكاء.

جلس بجانبها لحظة مواسياً إياها بكلمات هادئة مليئة بالعطف، وأخيراً قال وهو ينهض: «إنني سأستدعي الشرطة.»

قالت متأوهة: «آه، يا جاستين.»

قال: «كان علي أن أقوم بذلك منذ البداية يا لورا، ولكنني لم أشأ أن أعتقد...» واختنق صوته.

قالت: «أعلم ذلك، فاستدعاء الشرطة تجعل من الأمر حقيقة واقعة.»

قال: «وهي حقيقة واقعة.»

فأومأت من خلال دموعها. لقد كان الأمر كابوساً حقيقياً لن تستيقظ منه.

عاد جاستين من غرفة الجلوس بعد ذلك بدقائق، وجلس بجانبها واضعاً مرفقيه على ركبتيه ورأسه بين يديه. وزادت مظاهر يأسه هذه من واقعية الأمر.

دخلت غريسيا إلى الغرفة قائلة: «ما بكما، أنتما الاثنين؟ لا بد أنها ذهبت تجول في الأنحاء. إن كل الأطفال يفعلون هذا.»

ولكنها، مع هذا، كانت لهجتها تنبىء بالخوف، واستدارت مغادرة الغرفة بصورة مفاجئة وهي تقول: «سأبدأ بصنع الشطائر والقهوة.»

نظر الاثنان إليها متسائلين، فقالت: «لأجل فرق التفتيش.»

وتصاعد طرق على الباب، فقفز الاثنان إليه.

كانت غليندا تقف على العتبة. وهمست: «أنتما الاثنان معاً. هذا حسن، فأنا أريد التحدث إليكما.»

قال جاستين بأمل: «عن لوسي؟»

نظرت إليهما غليندا مرددة باستغراب: «لوسي؟ كلا. بل أريد أن أوضح بعض الأمور بالنسبة لتلك الليلة. ما بها لوسي؟»

قالت لورا بكآبة: «إنها مفقودة منذ هذا الصباح، ماذا بالنسبة لتلك الليلة؟»

حتى في إبان قلقها على ابنتها، أخذت تنقل نظراتها بين وجهي جاستين وغليندا لترى نظرات أحدهما للآخر، ولكنها لم تجد شيئاً. ولكن لا بد من أن ينظر شخصان متحابان الواحد منهما إلى الآخر مثل... حسناً، مثلما هي وجاستين ينظر الواحد منهما للآخر.

شهقت غليندا تجيبها: «هذا غير مهم الآن. أخبريني ما الذي أستطيع عمله للمساعدة في العثور عليها.»

فجاءها صوت غريسيا من عند العتبة: «تعالي اصنعي الشطائر.»

ومشى جاستين بقلق إلى حيث وقف خارج الباب وعيناه مسمرتان على الشارع وتتفحصان الجبال عسى أن تدلي

إليه بجواب. وخرجت لورا تقف بجانبه، كانت تريد منه مواساة.

وأخيراً، ها هما الاثنان أخيراً، قد جمع بينهما الألم محطماً الحواجز التي كانت تقف بينهما.

سألها: «لورا. اتظنينها ذهبت وحدها إلى الجبل تجمع التوت البري؟»

أجفلت، واندفعت، نظراتها إلى حيث كانت دلاء التوت البري مصفوفة بأناقة في زاوية المدخل. وفعلاً، كان الدلو الأحمر ذو اليد البيضاء غير موجود.

قالت: «نعم يا جاستين. هذا ممكن. لقد أخبرتها ألف مرة ألاّ تفعل، ولكنك تعرف لوسي.»

قال: «ليس إلى الحد الذي أريد أن أعرف.»

وفكرت لورا في أنه لم تسنح له الفرصة لكي يتعرف إليها جيداً. فاذا حدث للوسي شيء، فهو سيشعر بأنه غدر به... غدر به تماماً، وكذلك ستشعر هي.

قال: «فلنذهب إلى هناك.» وقفز من فوق حاجز المدخل برشاقة تماماً كما كان يفعل في فتوته عندما كان بالغ الحيوية والنشاط.

قالت له: «انتظر.» ودخلت تدلي بتعليمات سريعة لغريسيا عما عليها أن تخبر به الشرطة عند وصولهم، وأعطتها القميص الذي كانت لوسي قد لبسته أمس، في حالة ما إذا أحضر الشرطة معهم كلباً بوليسياً. ثم أعطتها صورة حديثة للوسي.

وبعد ذلك كانت تركض إلى جانب جاستين وقد وحد الخوف من مشاعرهما ما لم يستطع توحيده الحب.

ركضا خلال الغابات إلى أن تملكهما العجز عن المتابعة ووصلا إلى حيث التوت البري.

نادت لورا: «لوسي.» ونادى جاستين: «لوسي.»

ورجع صدى ندائهما إليهما. وكانت شجيرات التوت قد أصبحت عارية، فقالت لورا: «هنالك مئات من الأمكنة التي يتواجد فيها التوت البري على هذا الجبل.»

سألها عابساً: «وهل اعتادت لوسي الذهاب إليها جميعاً؟»

أجابت: «نعم.»

قال: «إنها طفلة لامعة الذكاء، وبامكانها أن تجد طريق العودة.» ولكنهما كانا يعلمان أنه إنما يقول ذلك فقط للتخفيف من تأثير الصدمة التي يشعران بها إزاء الغابات الخالية حولهما، إذ حتى البالغين يتوهون أحياناً في الغابات المكتظة أو يصيبهم الضرر.

همست لورا: «جاستين، إنها صغيرة للغاية.»

قال بعزم: «سنعثر عليها.»

ولكن خوفاً مريعاً من أن لا يجداها، كان قد تأصل في نفس لورا.

قالت: «يوجد هنالك دببة يا جاستين.»

قال: «أعرف ذلك.»

قالت: «وسباع أيضاً؟»

قال: «لقد كنت قلت إنها تصرخ كثيراً إذا هي وقعت في أي من تلك المتاعب، وكنت صادقة في ذلك.»

قالت: «ولكنها، إزاء الخوف والجوع، تكون هادئة جداً، أو إذا حدث لها شيء...» وارتفع صوتها بذعر، فقال: «لورا،

إياك... إياك أن تعذبي نفسك. إننا سنعثر عليها، إنني سأعثر عليها، هذا وعد مني.»

وفجأة، بدا لها أن وعداً من جاستين هو شيء يمكن الركون إليه، شيء يتعلق به المرء عندما ينتهي كل شيء.

قال لها: «أتريدين أن تعودي إلى البيت لتري إن كانوا قد عثروا عليها، بينما أتابع أنا صعودي في الجبل؟»

هزت رأسها قائلة: «كلا، بل أريد البقاء معك.» فأومأ برأسه ثم تابع صعود الجبل.

وجاهدت لورا في مجاراته في خطواته التي زادها اليأس اتساعاً وسرعة. ما هي المسافة التي يمكن أن تقطعها طفلة صغيرة؟ أتراها سلكت هذا الطريق؟ هل جاءت حقاً لجمع التوت البري أم تراها ذهبت إلى مكان آخر؟

كانت هذه الأسئلة تتزاحم في ذهن لورا. ولكن وعده شدد من عزيمتها. كانت متعبة وجائعة، وتملكها يأس قاتل، ولكنها بقيت تنظر إلى جاستين. وكان هو يبتسم مطمئناً، ثم يعاود النداء حتى بح صوته.

وخففت قوته هذه عنها، وصدت سحب الذعر التي كانت تهدد بتملكها. وسمعا طائرة مروحية كانت تحوم فوق الجبل. لقد ابتدأ البحث رسمياً.

وابتدأ حلول الليل. وقالت لورا بصوت متهدج: «إنني لا أريدها أن تبقى هنا في الظلام.»

قال: «أتحبين أن تعودي لتري إن كانت قد عادت؟ أو إذا كان قد وجدها أحد؟»

إنه كان يعلم ان لوسي لم تعد، وذلك من استمرار تحويم

الطائرة المروحية، ولكنه كان يراها على وشك الانهيار، وأنها تتحمل فوق طاقتها.

وصلا فجأة، إلى مرتفع صخري يشرف على المدينة، كما كانت أضواء فرقة الاسعاف، الزرقاء والحمراء تنير مرتفعات المنطقة.

وتألقت الغابات بأضواء مصابيح مئات الباحثين الذين كانوا يطوفون خلالها.

همست لورا: «إنهم لم يجدوها. لم يجدوا طفلتي.»

قال جاستين غاضباً: «إنها لن تموت، هيا نذهب.» فتمالكت كل ما بقي من قوتها وشجاعتها، إنها تريد أن تكون ذات نفع له. ولكن الظلام انتشر حولهما بسرعة، فنظر جاستين حوله بيأس، ولكنه اضطر أخيراً إلى الوقوف وهو يقول: «ليس لدينا مصباح. والظلمة دامسة، ولم نتناول طعاماً طوال النهار. كما أنك تشعرين بالبرد.»

سألته: «أتعني أن علينا أن نتوقف عن البحث؟»

أجاب: «انني لن أتوقف عن البحث يا لورا، ولكننا بحاجة إلى أن نأكل ونحضر شيئاً من الطعام، فنحن لا نملك حتى قطعة حلوى لها اذا وجدناها.»

همست: «كلا، لا أستطيع العودة إلى المدينة، فهذا يستغرق ساعة من الوقت يمكننا أن نستغلها في البحث.»

قال لها بلطف: «دعينا نقوم بتجربة أخرى قبل أن ننزل. غني يا لورا، غني.»

قالت: «ماذا؟»

قال: «إن صوتك سيصل إليها، وهي ستعرفه. غني.» وبدا لها، اقتراحاً غير معقول، ولكنها، عندما شرعت في

الغناء، بدا لها الأمر معقولاً تماماً، فقد خرجت الأغنية من أعماقها. كانت أغنية بلا كلمات، تمثل الحياة نفسها، فهي تصعد وتهبط بالفرح والحزن. كانت تموج في جو الجبل بالشجاعة والقوة. أغمضت عينيها وغنت، وغنت. إنها أغنية حبها. للوسي.

وعندما فتحت عينيها، أشاح جاستين بوجهه فجأة. ولكنها استطاعت أن ترى الدمعة التي كانت تنحدر على خده.

قال: «لقد انتهت فترة الاستراحة وعلينا أن نعود الآن.»

قالت: «أعلم ذلك.» كانت تعرف أن لوسي لو كانت قريبة من هذا المكان، لسمعت غناءها، وأرهفت... ولكنها لم تسمعه يجيبها على أغنيتها بغناء مماثل.

سارا عائدين من خلال الغابات وهما يترنحان تعباً وجوعاً، ما وحد بينهما.

فكرت لورا باكتئاب، في قسوة هذه الوسيلة التي جعلتهما يدركان كم هما متلائمان معاً. إنها ستتزوجه إذا كان مازال يريدها.

لقد كانا متلائمين تماماً.

حدثت نفسها، يا لك من مجنونة يا لورا ويفير. فقال لها: «ماذا تقولين يا لورا؟» وتعثرت قدمه فصدرت عنه شتيمة، وانهارت هي بجانبه.

قال يطمئنها: «لن يمضي وقت طويل لنكون هناك.» وقف على قدميه برشاقة وسهولة ليتابع السير قبلها. فهو متفوق عليها بالعزيمة والقدرة على الاحتمال، كما أنه أقوى وأكثر خشونة. لقد جعلها هذا تشعر بحمايته لها واهتمامه بها بشكل بدائي. ذلك أن غريزة المحاربين

والصيادين مازالت كامنة في نفسه، فهو لن يرتاح قبل أن يقوم الأمور.

مرا بفرقة انقاذ كانت صاعدة نحوهما، فأراهما جاستين على خريطة الطرق التي سبق وسلكاها.

ونظرت لورا إليهم وهم يسيرون لا يفصل بين الرجل والرجل اكثر من متر. وأنوار المصابيح تتنقل في الأنحاء. كانت وجوههم عابسة حازمة، ولكن عيني جاستين العنيفتين هما اللتان كانت تنظر إليهم للاطمئنان.

وإلى أن عادا إلى صعود الجبل، استغرق ذلك ساعة من الوقت. ما كان أثمنها. لقد دخلا مخيم الاسعاف وهما يترنحان، فقوبلا بترحيب خفف عنهما العناء. وقد غمر البعض لورا بالعطف. وتقدمت منهما غريسيا بنشاط رغم علامات الارهاق التي كانت تبدو عليها، ثم قادتهما إلى مائدة نصبت هناك في نور مصباح، وهي تأمرهما بقولها: «إجلسا.»

جلسا إلى المائدة التي كانت تحيط بها المقاعد المتينة وأصوات أجهزة الراديو تملأ الجو، وكانا يشاهدان أضواء المصابيح صاعدة على الجبل.

أسندت لورا رأسها المتعب إلى المائدة بينما أحضرت غريسيا إناء حساء يتصاعد منه البخار، وأرغفة سميكة، ووضعت ذلك كله أمامهما، وبعد ذلك ألقت على أكتافهما أغطية دافئة.

حدثتهما غريسيا قائلة: «هنالك متطوعون جاؤوا من مسافة مئة ميل، وثمة حوالي الخمسمائة متطوع يبحثون عن لوسي.»

أومأت لورا شاكرة، وأكلت طعامها وقد انحنت كتفاها تعباً. وكانت تنظر إلى الرجال الباحثين وهم بين داخل وخارج مشجعين أو مطمئنين.

تمتمت: «إنهم يحبونها، إن هذا يبدو في وجوههم.»

فقال جاستين: «لقد رأيت في وجوههم جميعاً كم يكنون لكما من الحب، أنتما الاثنتين.»

وعندما أمسكت بيدها فنجان القهوة الذي أحضرته غريسيا، كانت تشعر في أعماقها بفراغ عميق.

وقف جاستين وهو يقول: «إننا بحاجة إلى جاكيتات ومصابيح. هل ستعودين معي؟»

فأومأت وهي تشعر بالسرور لرغبته في اصطحابها رغم أن قوتها المتداعية ستعوق تقدمه. كان سبب شعورها بالفراغ في أعماقها هو لوسي. فهي لا يمكن أن تتحمل ذلك فيما لو تركها جاستين. فان تعاستها ستكون فوق طاقتها إذا هو لم يشاركها ذلك.

عادا يصعدان الجبل وهما يشعران بالشبع والدفء وكان جاستين يحمل في يده مصباحاً ينير لهما الطريق.

ولكن لوسي كانت في مكان ما هناك، في الظلام، جائعة خائفة. إن عليهما أن يعثرا عليها في أقرب وقت.

تمتمت وقد شت بها الذهن: «لو كنت وافقت على الزواج منك، هل كانت لوسي ستخرج من البيت بهذا الشكل؟»

استدار جاستين ينظر إليها وهو يسأل: «ماذا قلت؟»

أجابت: «لا شيء.»

قال: «لورا، أخبريني ماذا قلت؟»

قالت: «كان شيئاً تافهاً. لقد كنت أتساءل عما إذا كان

هربها هذا لأنني أفسدت عليها حلمها. لقد كانت تريدك أن تكون أباها أكثر من أي شيء آخر.»

أخذ جاستين يحدق فيها، فسألته: «ما بك؟»

أجاب بابتسامة متعبة: «إنني أعلم أين هي لوسي.»

ولم تعرف من أين أتى بكل هذه الطاقة أخيراً وهي تراه يغير من اتجاهه، ويبدأ في الركض. ونادته وأنفاسها تتقطع: «جاستين، انتظرني أرجوك.»

تباطأ ينتظرها، وسرعان ما ابتدأت تميز المكان الذي كانا فيه. لقد كان مصطحباً إياها إلى نفس المكان الذي كانوا ذهبوا إليه في تلك النزهة البرية، ونادى: «لوسي.» ولكن صوته كان مبحوحاً لا يكاد يسمع، فقال لها: «غني يا لورا.»

ولكن صوتها هي أيضاً كان قد اختفى تقريباً، ولكنها أرغمت نفسها على الغناء قدر إمكانها، فهمس: «هس.. أنصتي.»

سكتت عن الغناء، وفي سكون الغابة العميق، سمعت صوتاً بالغ الخفوت. ركضت نحوه.

كانت لوسي مستلقية تكاد تخفيها فروع خضراء لشجرة وارفة. وسرعان ما كانت لورا تخرجها من ذلك المكان ثم تلقي بنفسها عليها تحتضنها بذراعيها. وكانت الطفلة مسترخية متعبة، وتصدر عنها شهقات جافة لا صوت لها.

سقط جاستين على ركبتيه بجانبهما، ثم خلع سترته ولف بها الطفلة التي كانت ترتجف، فنظرت إليه بعينين متعبتين، ثم أخذت تنقل نظراتها بينه وبين أمها، ثم ابتسمت.

رفعتها أمها، فتناولها جاستين منها، ثم جلسا جنباً إلى جنب وقد لفهم جميعاً شعور صامت بالبهجة.

تأوهت لوسي قائلة: «لا تلمس قدمي. إنها تؤلمني.» كان صوتها همساً لا يكاد يسمع، وأدركت لورا أنها ربما كانت تناديهما بنفس التكرار واليأس الذي كان يصدر عنهما.

همست لوسي تقول بزهو: «إنني أعرف الطريق إلى البيت، ولكن قدمي أصيبت، فلم أستطع السير.»

ثم أغمضت عينيها، فصوب جاستين ضوء مصباحه إلى قدمها، ثم أنزل جوربها برفق فرأى رضة زرقاء قاتمة. فتحت عينيها ثم نظرت إلى جاستين ومدت يدها تلمس ذقنه غير الحليقة، ثم قالت بصوت خافت: «لقد تحققت. تماماً كما قلت أنت أنها تتحقق.»

سألها: «هل جئت لكي تغيري أمنيتك التي كنت طلبتها أمام الزهرة؟» وكان صوته مليئاً بالمشاعر، وببطء، فتحت لوسي قبضتها، فبدت على راحتها زهرة مسحوقة، كانت زهرة الاوركيد.

قالت: «لم أكن أريد أن أقطفها، ولكنني كنت خائفة جداً، ولما كانت هذه زهرة الأمنيات، فقد أمسكت بها فقط، فانقطعت بيدي. هل أنت غاضب مني؟»

أجاب: «كلا يا حبيبتي، لا أحد يغضب منك.»

قالت لهما: «لقد كنت أفسدت أمنيتي الأولى.»

قالت لورا إذ لم تكن تريد أن ترهق إبنتها نفسها بالكلام: «لا تحدثينا الآن عن شيء يا لوسي.»

قالت لوسي: «إنني لم أتحدث إلى أحد منذ مدة طويلة جداً.»

ضحكت لورا بسرور بالغ، وكان الليل حولهما ساكناً حالماً، فقالت: «حسناً، يمكنك أن تقولي ما تشائين.»

قالت: «في المرة الأولى أفسدت أمنيتي، فقد تمنيت قطيطة سخيفة. ولكن هذا لم يكن ما أردته في الواقع.»

سألتها أمها: «وما الذي كنت تريدينه؟»

فأجابت لوسي: «طبعاً كنت أريد أباً، وعندما تخاصمتما أنت وجاستين ليلة أمس، علمت أن الذنب ذنبي إذ أفسدت أمنيتي عند الزهرة بطلب قطة بكماء. وكان علي أن أصلح الأمر. كان لا بد لي من ذلك، وقد نجحت. أليس كذلك؟ ألست الآن بابا؟»

شعرت لورا بذراعي جاستين تشتدان حول ابنته، ثم قال بصوت أجش: «نعم، إنني الآن بابا، ثم هل تعلمين ماذا يعني هذا؟»

سألته بصوت مفعم بالرضى: «ماذا يعني يا بابا؟»

قال برقة مؤلمة: «إنه يعني انني سأحبك دائماً.»

وارتفعت عيناه من فوق رأس لوسي لتتقابلا بعيني لورا. وأدارت هذه رأسها بسرعة كيلا يرى المشاعر التي تألقت فجأة في عينيها. فسألته لوسي: «ثم؟»

سألها بحيرة: «ثم ماذا؟»

قالت: «ثم تشتري لي هدايا؟»

قال: «نعم، وهذا أيضاً.»

قالت: «ثم تحملني على كتفيك طبعاً.»

قال: «طبعاً.»

قالت وصوتها يتلاشى: «ثم تأتي معي إلى لعبة البيسبول للأب والطفل في شهر تموز (يوليو).»

فقال: «كل تموز، وطوال العمر، ما دمت تريدينني.»

ورأت لورا عيني لوسي تغمضان، ويسكت الصوت الأبح الخافت، ومن ثم أصبح تنفسها منتظماً.

ثم، إذا بلوسي تقول فجأة وهي تعود فتفتح عينيها: «ثم تتزوج مامي.»

فلم يقل جاستين شيئاً. بينما أخذت لوسي تغط في النوم.

ها قد حان الوقت، كما فكرت لورا وقد امتزج في نفسها التعب بالبهجة ما منحها الشجاعة لتقوم بما عليها القيام به. قالت: «جاستين، إذا عدت فسألتني نفس سؤالك لي ليلة أمس، فجوابي سيكون مختلفاً.»

قال برقة، وقد بدا بالغ الحزن: «أعلم ذلك.»

قالت بضراعة ناعمة: «إسألني إذن.»

قال: «كلا يا لورا. إن الأمر خطأ تماماً. إن مشاعرك مفعمة الآن، وقد ارتحت من القلق البالغ ذاك.»

فتذكرت الحقائب الجاهزة عند الباب... وغليندا... وأشاحت بوجهها عنه بسرعة مرة اخرى، كيف يمكن للتاريخ أن يكرر نفسه بكل تلك الدقة والقسوة؟ لقد وثقت به مرة من قبل، فماذا كان مصيرها، وها هي ذي الآن تثق به مرة أخرى، والنتيجة هي نفسها.

قال: «لورا...»

«ها هي ذي.» انطلق هذا الصوت، ليفاجأوا بالأضواء تنصب عليهم بقوة بينما الصوت يتابع قائلاً: «لقد عثرنا على لوسي ويفير.»

الفصل العاشر

«تصبح على خير يا جاستين.» كانت لورا تحت الغطاء، بينما لوسي ملتصقة بها وقد استغرقت في النوم.

كان النعاس قد أثقل جفني لورا حتى لم يعد بامكانها أن تفتحهما، ومع هذا كانت لا تريد أن تغمضهما.

وانحنى جاستين يقبل وجنتي لوسي، ثم قال للورا برقة: «كان يوماً طويلاً مرهقاً، فارقدي.»

إن عليها أن تدعه يذهب إلى بيته، فأغمضت عينيها مستسلمة إلى النوم بسرعة غريبة.

وقف جاستين ينظر إليهما، مدة طويلة. كانتا هادئتين وديعتين، وشعرهما الأسود الطويل منتشراً على الوسادة حول وجهيهما المتوهجين احمراراً.

لقد كره أن يتركهما، مع أن الارهاق الذي كان يحس به كان يزحف خلال عضلات رقبته، كان عليه أن يعود إلى بيته لينام.

أخذت لوسي تنشج في نومها ثم حاولت، وهي ترتجف أن تزيد من اقترابها من أمها.

تردد.. وحدثته نفسه بأن يذهب إلى بيته. ولكنه، بدلاً من ذلك، جلس قرب لوسي. إنه سيمضي معهما بضع دقائق فقط. فقد كان على وشك أن يفقدهما هما الاثنتين. فهو لا يطيق فكرة تركهما الآن.

وغمره شعور عميق من الهدوء والسكينة.

أدرك، بوضوح مخيف مفاجيء، أن الأشياء تتحول دائماً

عما ينبغي عليها أن تكونه، فأغمض عينيه، للحظة واحدة فقط، ليستمتع بهذا الشعور السعيد الذي انتابه.

«صباح الخير يا مامي.»

غمغمت لورا تجيبها: «صباح الخير يا حلوتي.»

«صباح الخير يا بابا.»

ففتحت لورا عينيها، وأدارت رأسها بحذر. كان جاستين ينام على الكرسي بالقرب من سرير لوسي. وقد بدت لوسي في غاية الابتهاج لهذا الوضع، وصرخت لورا فزعة للمفاجأة.

فتح جاستين عينيه وقد بدا وجهه قاتماً بلحيته النامية. وبدت عليه الحيرة لحظة، وما لبثت عيناه أن تركزتا على وجهها وهو يبتسم بسرور كسول: «صباح الخير يا لورا، صباح الخير يا لوسي.»

سألته لورا: «ما الذي تفعله هنا؟»

قالت لوسي لأمها مقطبة جبينها باستياء: «إنه أبي طبعاً.» ونظر هو إليها بابتسامة ماكرة، ونزلت لوسي من السرير وهي تقول: «إنني سأجهز الافطار لمامي وبابا.» وتقدمت منه قائلة: «ماذا تحب أن تأكل؟»

أجاب: «بيضاً مقلياً، خبزاً محمصاً، قهوة، كعك...»

قالت ساخطة: «كلا. يا للغباء، أعني هل تريد كورنفليكس أم بوريدج؟» وغادرت لوسي الغرفة. فقالت لورا دون أن تنظر إليه: «ظننتك لا بد قد سافرت الآن.»

أجاب: «إنني لن أسافر إلى أي مكان.»

قالت: «ولكنني رأيت حقائبك.»

قال: «لقد غيرت رأيي.»

قالت: «إن هذا لا يدهشني.»

فسألها: «لماذا هذا لا يدهشك؟»

سألته: «أليس هذا ما فعلته، أثناء كل تلك السنوات التي مرت؟» كانت تريد أن تبدو غير مبالية.

قال: «لا أفهم ما تقولين.»

قالت له بصوت خافت جريح: «لقد كنت قلت إنك ستحبني دوماً. وبعد ذلك غيرت رأيك. طلقتني ورحلت.»

قال برقة: «ولكنني أحببتك دوماً.»

رفعت رأسها بعنف ونظرت إليه تبحث في وجهه عن الحقيقة.

قالت: «تعني أنك تحبني أنا وكل الفتيات الأخريات.»

قال: «كلا، أنت فقط.»

قالت: «ولكنني رأيت جاذبيتك التي تمارسها على قلوب النساء الغافلة، حتى في تلك الليلة التي خرجت فيها من هذا البيت، رأيتك، بعد دقيقة واحدة، مع غليندا.»

قال: «هذا لا يعني شيئاً مهماً.»

قالت: «ماذا كان إذن؟»

قال: «لا أدري يا لورا، ففي كل مرة أرى تلك الفتاة، كانت تبدو وكأنها ستنفجر بالبكاء. وفي تلك الليلة بكت فعلاً، إذ أنها ما أن نظرت إلي حتى انفجرت باكية، ولم أدر ماذا أفعل. فقد بدت غاية في التعاسة. وهكذا حاولت أن أسري عنها فلم تلبث سوى ثانيتين ثم هرعت مبتعدة عني.»

وفجأة، بدا لها أنه جدير بالثقة، فما دام هو يقول إن الأمر كان هكذا، فالأمر كان فعلاً هكذا، فقلبها يثق به.

قال بلطف: «لورا، ماذا حدث طوال السنوات الماضية بينك وبين جو فيرست؟»

رددت كلماته تسأله: «بيني وبين جو؟» وكاد يخرجها هذا السؤال عن توازنها. ما صلة هذا السؤال بما إذا كان هو يحبها أم لا؟ وتابعت تسأله: «ماذا تعني بذلك؟»

قال: «كان ذلك في شهر أيلول (سبتمبر)، أتذكرين؟ كان لدي وظيفة لدى شركة أخشاب. وكان علي أن أمكث في المخيم أثناء الأسبوع، ولكنني كنت أعود إلى البيت في إجازات نهاية الأسبوع، وفي إحدى الاجازات عدت إلى البيت فوجدتك قد رحلت مع جو.»

كانت تتذكر كل تفاصيل تلك المدة في حياتهما، كان هذا صحيحاً. لقد كانت ذهبت مع جو، رغماً عنها.

قالت: «نعم، لقد ذهبت مع جو.» ولما رأت ملامحه تتجمد، شهقت قائلة: «وإنما ليس بالشكل الذي تظن. فقد تعرض أخوه لاصطدام مروع. وكان هو من الاضطراب والأسى بحيث لم يتمكن من قيادة سيارته، وهكذا قدت سيارته أنا. لقد شرحت لك كل هذا في الرسالة التي تركتها لك في ذلك الحين.»

قال: «إنني لم أتلق منك أية رسالة يا لورا.»

قالت: «ولكنني تركتها عند مدخل باب بيتك. حتى انني أتذكر وضعي لحجر عليها حتى لا يطوح بها الهواء.»

قال: «إنني لم أتلق رسالة، بل خبراً شفهياً.»

سألته متعجبة: «أي خبر ذاك؟»

قال: «قالت لي لورا بأن أخبرك بأنها ما زالت صغيرة بالنسبة إلى علاقة أبدية. لقد تركت لورا المدينة هذا الصباح مع جو فيرست، ولا يبدو أنهما سيعودان قبل مضي وقت طويل. شعرت ولهذا، بجرح كبير في مشاعري، وفكرت

لماذا نبقى معاً وأنت تحبين جو. لهذا، قررت أن أضع حداً لزواجنا بالطلاق.»

«من قال لك ذلك، يا جاستين... من تراه أخبرك بمثل هذه الكذبة المروعة؟»

قال: «أخبرتني بذلك غليندا.»

همست: «غليندا؟ آه، غير ممكن.»

لقد كانت غليندا قد أصبحت صديقتها، ولم تستطع أن تفهم معنى هذا الخداع.

قالت له: «جاستين، عندما عدت أنا، اتصلت بي غليندا من ستاندوفر. قالت إنها معك هناك، وأنك تحبها وأنكما ستتزوجان، وقالت أيضاً أنكما لم تكونا تريدان أن تسببا لي الألم، ولكن هذا ما حدث.»

انفجر جاستين قائلاً: «ماذا؟» واختنق وجهه غضباً، وقدحت عيناه شرراً، وهو يتابع قائلاً: «إنني ذاهب لأتحدث قليلاً إلى تلك الفتاة. لا عجب إذن، في أنها كانت تبكي كلما رأتني. لقد كانت تعلم أنني سأعرف في النهاية كل شيء. لا عجب أنها كانت تبدو خائفة مني، إنني ذاهب إليها الآن.»

قالت لورا: «انتظر يا جاستين.»

قال: «لا استطيع. لقد سرقت تلك السافلة ست سنوات من حياتنا، انني اريد أن آخذ منها ثأري.» ونهض. كان غضبه ساحقاً.

قالت له بصوت متهدج: «اهدأ يا جاستين.»

حملق فيها غاضباً، فسألته: «هل ذهبت معها إلى ستاندوفر»؟»

أجاب: «ليس بالطريقة التي تظنينها، لقد كنت راحلاً.

وكنت قد انتظرت عودتك حتى يوم الأحد، ولكنك لم تعودي. كنت لا اريد سوى أن ابتعد من هنا، فقد كنت في غاية من الغضب والألم والإضطراب. كنت أريد أن ابتعد بسرعة مئة ميل في الساعة على دراجتي البخارية إلى أي مكان لا أراك فيه. ولا يحتوي ما يذكرني بك. والآن، عندما افكر في الأمر، اتذكر ان غليندا بقيت تدور حولي فترة طويلة، تستمع إلي باهتمام وتبدي عطفها ولكنني لم أكن الاحظ ذلك. على كل حال، عندما قلت انني راحل، قالت انها تريد من يوصلها إلى ستاندوفر، وبدا لي هذا كأي مكان آخر.»

سألته: «ولكن، ألم تعدها بشيء؟»

أجاب: «ماذا تظنين يا لورا؟ لقد كنت أحبك.» وفجأة، اظلمت عيناه وقال: «إذن، فهذه هي الفكرة التي اخذتها عني طوال تلك السنوات؟ حسناً، لمعلوماتك الخاصة، لقد انزلت غليندا عند بيت عمتها ولم أرها بعد ذلك إلا بعد عودتي إلى هنا. ولم تنفع تلك المسافة التي ابتعدت بها عنك، في أن انساك، ففكرت في أن ابتعد مسافة مليون ميلاً إذا أمكن. وهكذا تقدمت بطلب وظيفة عامل مساعد على سفينة كانت مبحرة إلى الصين لأنني أردت أن ابتعد عنك قدر ما استطيع. ولكن الحقيقة هي أنني لم استطع أن اهرب من تعاستي، لم استطع البقاء في الصين لأنك لم تكوني معي، أنت التي شاركتها الضحكات والدموع، والتي شاركتني حياتي... لم تكوني هناك. الحقيقة هي أنني حاولت طوال ست سنوات أن انفيك من كياني، فلم افلح قط، لم اكف قط عن حبك، يا لورا. لقد كنت قلت لك مرة، في ذلك الصيف، أنني سأحبك دوماً، طوال العمر. وكنت أحياناً افكر في تلك الكلمات

وأدرك أنني قد حكمت على نفسي بالوحدة إلى الأبد.»

همست: «آه، يا جاستين.»

قال: «لورا، هل من الممكن أن اكف عن حبك.»

قالت: «وأنا أيضاً لم أكف عن حبك، يا جاستين، وعندما عدت إلى موطنك، حاولت جهدي أن لا يظهر عليّ ذلك. مشاعري نحوك كانت تخيفني حتى الموت. فقد كنت أظن أنه بما انك غدرت بي مرة، فليس لي أن اشعر نحوك بنفس الشيء، وان عليّ ان اكون اكبر سناً وحكمة... لقد كنت في منتهى الخوف من أن أصبح مثل أمي، فيقدر عليّ ان احب رجلاً لا يبادلني الحب. يقدر عليّ أن ابقى على الدوام، فريسة مشاعر محمومة لاضابط لها. لم يكن بامكاني أن أعيش ذلك النوع من الحياة، وذلك لأجل لوسي.»

ألقى جاستين برأسه إلى الوراء وانفجر ضاحكاً.

قالت: «ليس ثمة ما يدعو إلى الضحك إذا كنت أنا أخاف من ان أرث مشاعر أمي.»

ازداد ضحك جاستين. فقالت ساخطة: «كفى.»

«انني آسف. ولكنني لا استطيع أن اصدق ما تقولينه.»

قالت: «ولكن عواطفي في غاية العنف.»

قال برقة: «إنني اعلم ذلك. ولكنك كنت يا لورا مخلصة لرجل واحد طوال ست سنوات مع أنه لم يكن معك. أليس هذا اكبر فرق بينك وبين أمك؟»

أخذت تستوعب ببطء هذا الشعور بالحرية. الحرية بأن تكون امرأة لرجل واحد. وكذلك الشعور الرائع بأنها كانت على صواب في اختيار جاستين، إنها إذن لم تكن مثل أمها. لقد حطمت حلقة الوصل بينهما.

قالت: «إن البعض يظلون طول حياتهم يفتشون عن شريك، ولكنني أنا وجدت شريك حياتي في ذلك الصيف عندما أتممت الثامنة عشرة، لم يسمح لي بنسيان ذلك قط. لقد كان قلبي يدرك الحقيقة، رغم أن عقلي حاول السيطرة عليه.»

قال: «من السهل أن أسامح عقلك لذلك.»

قالت بلطف: «أظن ثمة تسامحاً آخر علينا أن نقوم به.»

قال: «إنني لن أسامح على ذلك مطلقاً. مطلقاً.»

«جاستين، لماذا تظنها تقوم بهذا العمل المريع؟»

أجاب بغضب: «لا أدري.»

قالت بعطف: «أنا أدري. نعم، لقد كانت تعلم جيداً ماذا يفعل بالنفس الألم الذي يحدثه حب شخص لشخص آخر يظنه لا يبادله حبه ذاك، إنه ينحرف بالنفس تلك بشكل ما سيأتي وقت تخبرنا هي بذلك. فلنثق بأنها ستقوم بالعمل الصواب.»

قال بلهجة ساخرة: «بالتأكيد.»

قالت: «ربما كان هذا هو سبب حضورها ليلة أمس.»

«نعم، هذا صحيح، فقد جاءت إلينا ليلة أمس. لقد نسيت ذلك.»

قالت: «أتذكر تصرفها تلك الليلة في الاجتماع الذي تم في المقر المعتاد. عندما كنا، أنا وأنت، متنازعين؟»

قال: «نعم، أذكر ذلك.»

«أظنها شعرت بالمسؤولية عندما رأتنا غير متفقين.»

قال: «ولكن هذا صحيح، إنما بشكل غير مباشر.»

قالت: «أظن يا جاستين أننا إذا اتبعنا طريق المحبة، فهو سيشفي كل شيء.»

قال وهو يضع يده على قلبه بشكل مسرحي: «ولكن لدي جرحاً هنا بحاجة إلى الاندمال.»

«والآن، هذا بالضبط ما على مامي وبابا أن يفعلاه.»
وكان هذا صوت لوسي الضاحك.
قال لها: «لوسي.»
أجابت: «لقد تأخر الافطار.»
أجابت: «لا بأس، فقد اندلق الحليب على الارض.»
هزت لوسي كتفيها قائلة: «لا بأس، ها قد ابتدأ برنامج الكارتون على شاشة التلفزيون. هل أذهب لأتفرج عليه؟»
قال جاستين: «بكل تأكيد.»
قالت: «وهل بإمكاني أن أحصل على كعك وآيس كريم مع الإفطار.»
قالت لورا برقة: «كلا.»
قال جاستين: «هذه المرة فقط، بامكانك أن تأكلي ما تشائين مع فطورك.»
قالت: «آه، ما أجمل هذا.»

• • •

قال لها وهو جالس على الأريكة في غرفة الجلوس: «لورا. أظن علينا أن نحصل على بعض حيوانات الألبكا.»
نظرت إليه برقة وقالت: «الألبكا؟»
قال: «إنني أريد أن أبقى هنا، في آبل. ان بامكاني أن أدير أكثر أعمالي بالنسبة لشركة لحن البراري من أي مكان، فان مدراء مخازني ممتازون، وكنت أفكر أن بامكاني أن أوسع أعمالي وذلك بتوفير رحلات في الأرياف أثناء الصيف، بعربات تجرها حيوانات الألبكا، ورحلات للتزلق على الجليد أثناء الشتاء.»

قالت: «ولكن لا يوجد في كندا حيوان الألبكا.»
«أنت مخطئة يالورا، فهو موجود. إن حيواني اللاما والألبكا قد أصبحا متوفرين جداً هنا، فان صوفها مرغوب جداً.»
قالت: «لقد كنت مخطئة قبل الآن.»
قال: «يمكنني أن أقرر الرحلات من خلال المخازن.»
قالت: «ما أروع أن نتمكن من البقاء في آبل.»
قال: «ولكنك ستنتقلين معي إذا اضطررنا لذلك.»
قالت: «إنني سأتبعك إلى أي مكان في العالم إذا شئت، وأنت تعرف ذلك.»
ابتسم لها قائلاً: «كان في نيتي أن أطلب منك شيئاً.»
قالت: «نعم.»
قال: «لقد امرتني غريسيا بأن أطلب منك...»
ورن جرس الباب.
جلس وهو يقول: «لقد أنقذك الجرس.» وفتح الباب، واستطاعت لورا أن ترى غليندا تقف عنده، فنظرت بقلق إلى جاستين، غير واثقة من طبيعة ما يستقبلها به.
كان وجهه وهو يفتح الباب ويراها، ليس ودوداً تماماً.
ولما قال لها، مرحباً يا غليندا، رأت لورا أن صوته كان مهذباً تماماً.
قالت غليندا بعصبية: «إنني بحاجة إلى أن أتحدث إليكما أنتما الاثنين.» وجلست على حافة كرسي.
تنحنحت، ثم قالت: «لقد جئت أسألكما الصفح.»
وعادت تنظر إلى يديها مدة طويلة، ثم تساقطت دموعها على وجهها، تنفست بعمق، وقالت: «جاستين، لقد وقعت في غرامك عندما كنا مراهقين.»

www.elromancia.com

فصرخ: «ماذا؟ ولكنك لم تكوني تضمرين لي أية مودة. فأنا أنكر...»

جالت عينا غليندا في أنحاء الغرفة، ثم قالت: «لقد كنت أتظاهر بأنني لا أطيقك، وذلك خوفاً من أن لا تبادلني شعوري نحوك، وهكذا كنت دوماً أقول تلك الأشياء العظيمة، لقد كنت أشعر أمامك بالتهيب ما كان يجعلني انتهي بالبكم.»

قال بلطف: «غليندا، ما قصدت قط أن أخيفك يوماً. إنني لم أحاول إخافة أي انسان.»

قالت غليندا: «لم يكن أنت، بل أنا. إن بامكاني أن أرى ذلك الآن. ولكن، في ذلك الحين، كنت مجرد فتاة صغيرة مشتتة المشاعر كانت تحس نحوك بانجذاب دون أن تعرف ما عليها أن تصنع.»

قال جاستين: «إنني آسف، فأنا لم أكن أعلم هذا.»

قالت غليندا: «وكيف لك بأن تعلم؟» وابتسمت له وهي ترتجف، وتابعت تقول: «عندما جاءت لورا إلى المدينة وابتدأت صداقتكما، شعرت أنا بالغيرة. كنت أراقب لورا فأدرك أن تصرفاتي معك بهدف الحصول عليك، كانت خاطئة، وفكرت في أنه لو حصلت لي فقط فرصة أخرى...» كانت نظراتها الآن موجهة لهما هما الاثنين، وهي تقول بثبات: «وذات يوم ذهبت لرؤيتك وفي نيتي الادعاء بأنني أريدك أن توصلني إلى منطقة ستاندبل أو ما أشبه، فرأيت لورا تضع شيئاً على عتبة بابك. وبعد ذهابها تقدمت أنا فرأيت الرسالة، فأخذتها وقرأتها، فعلمت أن لورا قد ذهبت مع جو لأن أخاه كان قد أصيب في حادث. ورأيت في ذلك فرصة أتيحت لي. لقد صممت على هذا منذ اللحظة التي

أخذت فيها الرسالة، ولم يكن هناك عودة، وتعمقت هذه الفكرة في نفسي وانغمست في عمل أخرق متصورة بحماقة أنني أستطيع أن أحول الأمور لصالحي. لقد أخبرتك أن لورا لاتحبك. وتعمدت أن أظهر الأمر وكأن ثمة شيئاً وراء ذهابها مع جو، ثم بقيت قربك محاولة لفت نظرك الي، ولكنك كنت بالغ الحزن. ثم فكرت في أن رحلة معك إلى ستاندوفر قد تغير من أمرك، وأنك ستلجأ إلي في النهاية. حتى انني اتصلت بلورا أخبرها بأنك تحبني وأننا سنتزوج. وكان كل هذا من تصوراتي، ولكنك كنت أنزلتني عند منزل عمتي، فانتظرت وانتظرت، آملة أن تتصل بي ولكنك لم تفعل. عند ذلك ذهبت إلى شخص من آبل أسأله عنك فقال إنك سافرت إلى الصين.»

وملأ الصمت جو الغرفة برهة تابعت بعدها حديثها قائلة: «فعدت إلى هنا. ولم أكن أعلم أن لورا كانت حاملاً. وأنا أشعر بالخزي إذ أعلن أنني لا أدري إذا كان من الممكن أن يغير هذا كل شيء فعلته. لقد حاولت أن أترك الأمر إليها. لقد ساعدتها في عملها في المقهى، وخدمة المدينة. ولكن لا شيء من هذا استطاع أن يذهب من نفسي الشعور بالذنب. لا شيء ما عدا هذا الاعتراف.»

وبدا عليها الارتياح، فقد استقام ظهرها واستقرت نظراتها عليهما بثبات. ثم عادت تقول: «لقد تعرفت إلى رجل منذ فترة لكنني أدركت أنني لن أشعر بالسعادة معه أبداً ما دام عملي هذا مصلتاً فوق رأسي. إنني آسفة، فقد سببت الآلام لكثيرين، إذ كان عملي غبياً أنانياً. فاذا قررتما، أنتما الاثنين، أن لا تتكلما بعد الآن معي، فأنا متفهمة هذا ولن ألومكما.»

قال جاستين برقة: «غليندا هل تغفرين لي كوني كنت صغيراً ومن الأنانية بحيث لم ألحظ أن هناك من يهتم بي؟»

واغرورقت عينا غليندا بالدموع، وهمست: «شكراً لك يا جاستين.»

أما لورا، فهي لم تشعر من قبل بمثل ما تشعر به الآن من الفخر بالرجل الذي تحب. وقالت لها: «غليندا. أظنني سأكون بحاجة إلى بعض المعونة بالنسبة إلى مشروع مهم، فهل أعتمد عليك في هذا؟»

أومأت غليندا برأسها وقد عادت الدموع تنهمر على وجنتيها وهي تقول: «كيف كان بامكاني أن أتصرف معكما بهذا الشكل وقد وُجد الواحد منكما للآخر.»

• • •

تسربت شمس الخريف من خلال زجاج القاعة الملون، وكانت الأزهار تملأ المكان.

كانت المقاعد كلها مشغولة، وقد ابتدأت مراسم الزفاف.

وقف رجل عريض الكتفين يرتدي سترة رسمية.

كان مرتدياً السترة الرسمية طويلة الذيل، وقد شبك يديه فوق صدره.

فتح الباب الخلفي، واندفعت منه فتاة صغيرة بخطوات راقصة وثوبها الأبيض يتطاير حولها، بينما اشتبك بخصلات شعرها تاج من الازهار. وكانت تحمل بين يديها سبت من الخيزران عليه وسادة وضع عليها خاتم.

قالت لبعض الحاضرين وهي تمر بينهم متراقصة: «هذا أبي.» وما لبثت أن تذكرت، فوقفت، ثم تابعت السير برصانة

عدة خطوات، عادت بعدها تتراقص في خطاها.

همس البعض: «إن صنعك لهذا الثوب رائع يا غليندا»

قالت لوسي حين وصلت قرب جاستين: «مرحباً يا بابا.»

نظرت إليه فاغرة فاها ثم عادت تقول: «إنك تبدو تماماً وكأنك أمير في كتاب القصص.»

فابتسم يجيبها: «بل الفارس الشهم.»

وفتح الباب مرة أخرى ودخلت منه غريسيا. كانت تبدو جميلة في ثوبها الحريري الوردي اللون.

وابتسم جاستين لغريسيا.

قالت لوسي بصخب: «مرحبا يا غريسيا.»

ولكن غريسيا ألقت عليها نظرة تحذير حازمة، وفتح الباب الخلفي مرة أخرى.

دخلت لورا. كان ثوبها من القطن الهندي الأبيض. وكانت التنورة الواسعة مزينة بالدانتيل، كما كانت الأكمام منتفخة حول ذراعيها.

وهمس صوت باك: «غليندا، إنني لم أر ثوباً بهذا الجمال من قبل.»

تهادت لورا في طريقها وكأنها ترقص في البرية على ألحان البراري.

وهتفت لوسي: «أووووه... ألا تبدو في منتهى الروعة والجمال؟»

فهمس جاستين: «نعم.»

وكانت لورا تبتسم محيية أصدقاءها وجيرانها، ولكن عينيها كانتا تعودان دوماً إلى الرجل الذي كان ينتظرها.

وقفت بجانب جاستين، وقفا طويلاً ينظر

الواحد منهما في عيني الآخر بأعين ممتلئة حبا.

وابتدأ رجل الدين بعقد القران، وتوقف. فجأة وقد بدت ملامحه مضحكة. وتراجع إلى الخلف وهو ينفض جبته بقوة لم تستطع أن تزحزح القطيطة التي أنشبت فيها مخالبها.

تقدم جاستين بسرعة ينزع عن جبة رجل الدين القطيطة البيضاء ذات الدوائر السوداء حول عينيها، ثم وقف ينظر إلى هذا المتطفل بعجز إلى أن تقدمت إيلسا تأخذها من يده طالبة، بخجل، أن تعتني بها إلى ما بعد انتهاء مراسم الزفاف.

ناولها جاستين القطيطة ثم ألقى على لوسي نظرة عابسة. ولكن شفتيه كانتا ملتوتين وهو يجاهد في أن يشارك الحضور إنفجارهم بالضحك.

قالت لوسي ببراءة موجهة حديثها إلى رجل الدين: «إنها قطيطتي، وقد أصرت كثيراً على القدوم معي إلى هنا. وهكذا وضعتها في السبت تحت الوسادة، وأظنها قفزت لأنها لم تستطع الرؤية جيداً.»

وعندما انتهت من كلامها، كانت عاصفة الضحك قد خمدت، ومن ثم ساد سكون في المكان، وكلمات رجل الدين تبارك زواجهما.

علا التصفيق في أرجاء القاعة وراحت الحناجر تهتف للعروسين بالسعادة والهناء..

تمـــت